
روايات مصرية للجيب
٦٢
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
كرة النار
RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ - صراع فى الأدغال ..

كانت الحرب الأهلية دائرة على أشدها ، بين الجناحين المتصارعين على الحكم ، فى دولة (جومايا) الإفريقية ، وقد انفصلت البلاد إلى قسمين : الأول يحكمه الجنرال (شهاب) فى الشمال ، والثانى يحكمه الكولونيل (شومبا) فى الجنوب .. وظلت الحرب دائرة لمدة عامين ، بين الخصمين المتنازعين على الحكم ، فى صراع دامٍ ، قضى على العديد من أهالى البلاد ، برغم محاولات التدخل من جانب المجتمع الدولى ، والأمم المتحدة .

وسعى كل من الطرفين ، إلى استخدام قوات من المرتزقة ، لمساعدتهم فى القتال .

وفى إحدى المعارك الدائرة بين الطرفين ، تقدمت ثلاث كتائب عسكرية من قوات الجنرال (بوكا) ، لاقتحام أحد المواقع الحصينة التى تسيطر عليها قوات الكولونيل (شومبا) .

وقد اندهش القائد المشرف على هذه العملية ، من عدم وجود مقاومة تذكر ، من جانب قوات (شومبا) فى أثناء

تقدم قواته، صوب الموقع الذى كان يتعين عليهم احتلاله .. وأغراه هذا على مواصلة التقدم، دون تأمين كاف للقوات المتقدمة .. ظنًّا منه أن قوات (شومبا) قد انسحبت، وأخلت الموقع، لدى علمها بتقدم قوات الكتائب الثلاث صوب الموقع .

ولم يدر القائد الذى يقود الكتائب الثلاث، أنه إنما يقاد إلى فخ .. تم نصبه بإحكام من جانب قوات (شومبا)، لإغرائه بالتقدم دون حذر، اعتمادًا على عدم وجود مقاومة تذكر؛ فقد احتلت قوات (شومبا) بعض التلال الجبلية الصغيرة المحيطة بالموقع، وقد نصبت مدافعها وصواريخها، واتخذت لنفسها مواقع حصينة، فوق هذه التلال الخضراء والمحيطة بالموقع العسكرى .. وأصبحت فى وضع استراتيجى أفضل من القوات المتقدمة، وعندما بدأت جحافل الكتائب العسكرية المهاجمة فى اقتحام الموقع، أعطى قائد القوات المتحصنة بالتلال إشارته .

وعلى الفور انصب وابل من الطلقات والقذائف، من الأنواع المختلفة من الأسلحة، وبدا وكأنه طاقة من الجحيم قد فتحت على القوات المهاجمة .

ملحوظة : أسماء الدول وشخصيات الرواية ومواقع الأحداث، هى من وحى خيال المؤلف .. ولا علاقة لها بالواقع .. وأى تشابه بينها وبين بعض الأسماء أو الشخصيات أو أحداث واقعية، هو محض مصادفة .

وتساقطت أعداد كبيرة من القتلى والجرحى .. وقطع الطريق على من حاول الانسحاب من الجنود .

وانتهت المعركة خلال ساعة واحدة من القتال .. وقد بدا وكأن جميع أفراد القوات المهاجمة، قد أبيدت بالكامل، بما فيها قائدهم .. حتى الجرحى والأسرى صدرت الأوامر بالإجهاز عليهم ..

لكن وبالرغم من ذلك، كان هناك حوالى سبعة من الجنود، تمكنوا من الإفلات من هذه المذبحة الدامية، واندفعوا إلى الهرب من هذا الجحيم، خلال الأحراش المحيطة بالتلال، وقد تشتتوا فى جهات متفرقة .

وسقط بعضهم قتيلًا خلال الطريق .. بينما لم يستطع البعض الآخر، مواصلة السير فى هذه الأحراش، التى بدت له بلا نهاية، فاستسلم لقدره، وفضل العودة وهو يأمل فى أن تقبله قوات (شومبا) أسيرًا .. والبعض الآخر تعرض لمهاجمة الوحوش التى أجهزت عليه .

وكان من بين هؤلاء الفارين من جحيم هذه المعركة، اثنان من جنود المرتزقة، شاركا مع الكتائب المهاجمة .. أحدهما بلجيكى، ويدعى (فرانك) طويل القامة عريض المنكبين، ذو وجه حاد الملامح وشارب ضخم، والآخر متوسط القامة .. صلب العود .. قصير الشعر، ويضع

عصابة سوداء على عينه اليسرى .. وهو بلغارى ويدعى (كوكوف) .. وقد أصيب بشظية فى أحد ساعديه، جعلته يتألم طوال الطريق .. حيث ظل جرحه ينزف، برغم الضمادة التى وضعها عليه .

وقال (كوكوف) لزميله وهو يتألم :

ـ إننى أشعر بعدم القدرة على تحريك ساعدى .. يبدو أن الجرح قد نزف كثيرًا .

صاح فيه (فرانك) بحدة :

ـ ألا تكف عن الشكوى قليلًا ؟ ماذا أستطيع أن أفعله لك الآن فى هذه الأدغال الموحشة ؟

قال (كوكوف) وهو يضع يده على ساعده، وقد بدت علامات الألم واضحة على وجهه :

ـ ليتنا استسلمنا لهم منذ البداية .. بدلًا من تعريض أنفسنا لهذه المجزرة، فقد بدا واضحًا منذ الدقائق الأولى، أنهم يمتلكون زمام المعركة تمامًا .

قال (فرانك)، بسخرية :

ـ نستسلم !! وهل منحونا فرصة لذلك ؟ إنها كما تقول يا صديقى، كانت مجزرة، مجزرة بمعنى الكلمة .. لقد أجهزوا على الجميع، ولم يمنحوا أحدًا أية فرصة حتى للاستسلام .

وعلى فرض أنهم قبلوا استسلامنا .. أتعرف ما الذى تفرضه قوانين الحرب على المرتزقة من أمثالنا ؟

إن المرتزقة وفقًا للقوانين والأعراف العسكرية، مجرمو حرب، ولا يخضعون لأية اتفاقيات دولية بشأن الأسرى العسكريين .. إنهم يعدمون فورًا بمجرد تصديق أى قائد عسكرى على ذلك .

احمد الله على أنك ما زلت حيًا حتى الآن .

توقف (كوكوف) عن مواصلة السير، قائلًا :

ـ وهل ستكتب لنا حياة فى هذه الأدغال الموحشة ؟

ضرب (فرانك) براحته على جسم مدفعه الآلى، قائلًا وهو يتأمل الأحراش حوله .

ـ ولِمَ لا ؟ إننى ما زلت أحمل مدفعى الآلى معى، وأنت معك مسدسك .. وما دمنا نملك السلاح، فسوف ندافع عن حياتنا حتى النهاية .

قال (كوكوف) بسخرية :

ـ إلى متى .. يوم .. اثنين .. لابد أن قوات (شومبا) ستأتى لتمشيط المنطقة، ولابد أنهم سيعثرون علينا .. فماذا يفعل مدفعك الآلى ؟ ومسدس فى يد رجل جريح، أمام أسلحتهم ؟

أجابه (فرانك)، وقد بدأ يشعر بالضيق من زميله :

ـ دعك من هذا .. إنهم لن يشتتوا جهودهم فى اقتحام هذه الأدغال الموحشة، بحثًا عن شخص أو اثنين، أو عدة أشخاص أفلتوا من الموت .

إن (شومبا) مهتم بتحصين مواقعه المحيطة بهذه الأدغال، ومقر رئاسته أكثر من أى شىء آخر .

(كوكوف) :

ـ وعلى فرض أنهم لن يهتموا بأمرنا، هل ستكفى أسلحتنا لمقاومة الوحوش التى تزخر بها هذه الأدغال .. والقبائل البدائية المتوحشة التى تقطنها ؟ إننا إذا قاومنا يومًا أو اثنين أو ثلاثة، فلن نستطيع أن نستمر حتى النهاية .

صاح فيه (فرانك) بحدة :

ـ ألا تكف عن هذه اللهجة اليائسة ؟

(كوكوف) :

ـ إننى جريح يا (فرانك)، ولا أستطيع مواصلة الطريق، وجرحى ينزف أكثر من ذلك .

(فرانك) :

ـ حسن .. إذن يتعين عليك أن تدبر أمرك بنفسك، أما أنا فسوف أواصل طريقى .. وأبحث لى عن مخرج من هذه الأدغال اللعينة .

(كوكوف) :

ـ وتتركنى أواجه الموت بمفردى ؟

(فرانك) :

إنك جندى مرتزق على أية حال .. وعندما جئت إلى هنا، كنت تعرف أنك ستتلقى راتبك، فى مقابل ترقب الموت فى أية لحظة .

(كوكوف) :

ـ ولكنى لا أريد أن أموت .

(فرانك) :

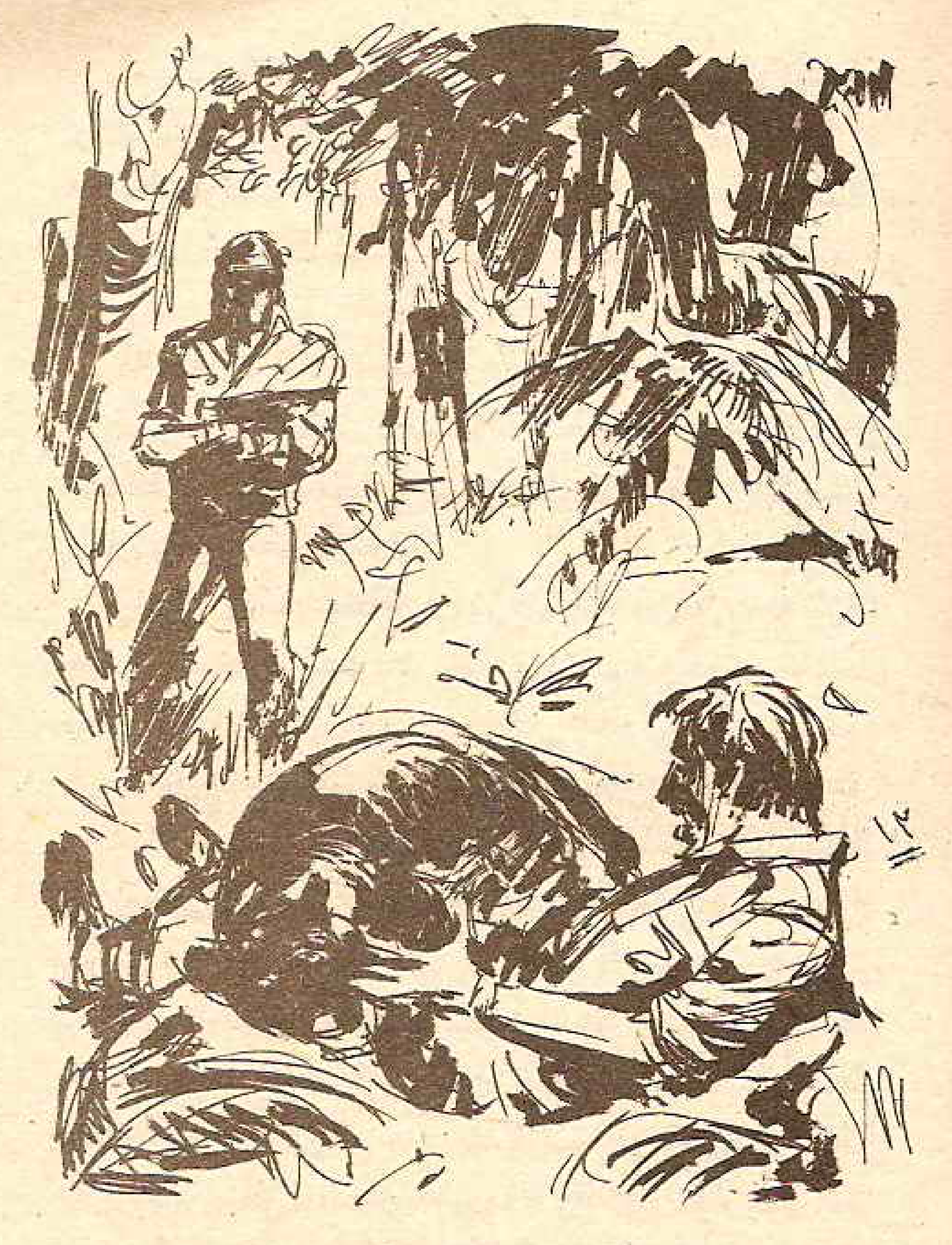
ـ إذن عليك أن تتحامل على نفسك وتواصل السير معى .

قال (كوكوف) فى استعطاف واستسلام :

ـ حسن .. حسن .. سأواصل السير معك .

ولكن بعد عشر دقائق من السير وسط هذه الأدغال الكثيفة، لم يستطع (كوكوف) أن يواصل السير أكثر من ذلك، فتهاوى ساقطًا على الأرض، على بعد عدة خطوات من زميله، الذى التفت خلفه لينظر إلى جسده المسجى على الأرض متأففا، وهو يقول :

ـ لقد كنت أحمق عندما قبلت أن ترافقنى فى الهرب .. فأنت تعوقنى عن الحركة، وتسبب لى عبئًا إضافيًا بإصابتك هذه .



وعندما فتح عينيه ، وجد جثة فهد أسود جاثمة فوقه ..

وصوّب فوهة مدفعه الآلى فى اتجاهه .. وقد بدت فى عينيه نظرة متحفزة ، ونظر إليه (كوكوف) فى فزع وهو يصرخ، قائلًا :

ـ لا .. أرجوك يا (فرانك) .. أرجوك لا تقتلنى .. أستحلفك بصداقتنا القديمة .. وبكل ما ...

قاطعه (فرانك) بصوت هامس، وإن بقى متحفظًا بحدة نبرته، قائلًا :

ـ اصمت أيها الأحمق .

وأطلق رصاص مدفعه الآلى، صوب زميله المسجى على الأرض، فى حين أغمض الأخير عينيه مستسلمًا .. وقد أدرك أنه لم يعد هناك ما يردع (فرانك) عن قتله .

ولكنه أحس بجسم ثقيل يسقط فوق جسده .. وبأنه عدا الجرح الذى ينزف من ساعده .. فإنه لا توجد آثار لجروح أخرى فى جسده .. مما يعنى أن الرصاصات لم تخترقه .

وعندما فتح عينيه، وجد جثة فهد أسود جاثمة فوقه، وقد أخذت الدماء تسيل منها على إثر الرصاصات التى أطلقها (فرانك) .

وظل (كوكوف) ينظر إلى جثة الفهد بذهول، وهو لا يصدق أنه قد نجا من مخالبه القاتلة، وما لبث أن أزاحه عنه، وقد اختلطت حبات العرق التى انهمرت منه بغزارة، بدماء الفهد .

ثم ساعد نفسه على النهوض، وهو يهتف بالشكر والامتنان لزميله، قائلًا :

ـ أشكرك يا صديقى .. أشكرك من كل قلبى .. لولاك لكان هذا الفهد قد فتك بى الآن، وأنا الذى ظننت أنك تنوى قتلى .

قال له (فرانك) بخشونة :

ـ لو أردت قتلك، لفعلت ذلك منذ وقت طويل .. ثم إن هذا الفهد، كان سيتحول إلىّ بعد أن ينتهى من الفتك بك .. وكان يتعين علىّ قتله .

والآن، هل ستستطيع أن تواصل السير معى، أم أتركك هنا ؟ وسيتعين عليك بعد ذلك، أن تواجه وحوش الأدغال بمفردك ؟

تحامل (كوكوف) على نفسه، وهو يسير ببطء، قائلًا :

ـ كلّا .. سأسير معك .. بالله عليك لا تتخلّ عنى .. فأنا لن أستطيع مواجهة هذه الأدغال المخيفة بمفردى، وأنا جريح على هذا النحو .

ومرت عليهما اللحظات بطيئة، وهما يسيران وسط هذا التيه، وقد أخذا يصطدمان خلال سيرهما بالأشجار الكثيفة، ويتعثران فى جذورها التى تغطى الأرض .. حتى بدأ الليل يرخى سدوله عليهما، وأصبح الطريق أكثر وعورة ومشقة، وهتف (فرانك) بضيق، قائلًا :

ـ ألا توجد نهاية لهذه الأدغال اللعينة !!

لم يقو (كوكوف) على مواصلة السير أكثر من ذلك .. فتهاوى على الأرض مرة أخرى، دون أن يقوى على الحراك هذه المرة .

واستدار (فرانك) لينظر إليه بتأفف، قائلًا :

ـ هذا ما كان ينقصنى .. لقد قلت منذ البداية .. إنك ستكون عبئًا علىّ .

ثم تركه مستديرًا وهو يهم بمواصلة طريقه، مستطردًا :

ـ حسن .. سنفترق هنا .. وعليك أن تدبر أمر العناية بنفسك .

ولكن قبل أن يخطو خطوة واحدة لمواصلة الطريق، انشقت الأرض عن عشرات من الرجال السود البشرة، وقد بدوا عراة تمامًا إلا من سراويل قصيرة تغطى عوراتهم، وتزايد عدد هؤلاء الزنوج، الذين برزوا من بين الأغصان، ومن فوق الأشجار، وقد تسلحوا بالحراب والسهام، وأحاطوا بالرجلين من كل جانب على شكل دائرة .

وهمّ (فرانك) باستخدام سلاحه، ولكنه أحس أنه لن يجدى، أمام كل هذا العدد من رجال القبائل البدائية .. وأنه إذا أفلح فى قتل رجل أو رجلين، أو إخافة خمسة أو عشرة

منهم بسلاحه النارى .. فإنه لن ينجح فى مقاومة أكثر من عشرين رجلا آخر، ولابد أن أحدهم سيصيبه، بإحدى الحراب أو السهام التى قد تكون ملوثة بالسّم، فيقضى عليه فى الحال .. لذا فضل ألا يبدى مقاومة، دون التخلى عن سلاحه، حتى يتبين له ما يريدونه منه .

وأخذ أحدهم يصيح فيه بلهجة غير مفهومة، لم يستطع أن يتبين منها شيئا .. لكنه فهم من إشاراته، أنه يريد منه أن يتبعه .. وما لبث أن تقدم هذا الزنجى أمامه، فى حين أحاط به أربعة من رجال القبائل البدائية، وأخذوا يدفعونه أمامهم، وهم يشهرون حرابهم الحادة فى وجهه، فأطاعهم متظاهرًا بالاستسلام، فى حين حمل ثلاثة آخرون زميله، وساروا خلفه يتبعهم بقية رجال القبائل . وبدا أنهم يعرفون طريقهم وسط هذه الأحراش الكثيفة .

يعرفونه جيدًا ..

* * *

٢ ـ المعجـزة ..

على الرغم من الظلام الذى أحاط بالأدغال، إلا أن هؤلاء الزنوج كانوا يعرفون طريقهم جيدًا، ويخترقون الأحراش الكثيفة بمهارة، تدل على أنهم يعرفون مسالك هذه الغابة .

وأخيرًا وصل الركب إلى مكان فسيح تحيط به الأكواخ .. وفى وسطه كانت هناك نار مشتعلة ..

وما إن وصلوا إلى هذا المكان، حتى أطلق الرجل الذى أمر (فرانك) بمصاحبته، صيحة مخيفة، خرج على إثرها الأطفال والنساء، ومجموعة أخرى من الرجال من الأكواخ، وأخذوا يتأملون (فرانك) وزميله بفضول، وكأنهم يتطلعون إلى كائنين جاءا من كوكب آخر .

وأمام أحد الأكواخ، وقف رجل ضخم الجثة، تبدو عليه ملامح الوحشية، حيث تبادل بعض العبارات غير المفهومة، مع الرجل الذى أمر باصطحابهما إلى هذا المكان، ثم أعطى الرّجل بعض الإشارات بيده، تحرك على إثرها اثنان من رجال القبيلة نحو (فرانك)، لينتزعا منه سلاحه .

وبرغم المخاطرة التى تنطوى عليها أن يصبح (فرانك) مجردًا من سلاحه، إلا أنه آثر الاستسلام وتسليم سلاحه، وقد أدرك أنه لا جدوى من المقاومة، وقد أصبح فى عرين الأسد، وأن عليه الآن أن يعرف ما الذى ينوى أن يفعله أولئك الزنوج به أولًا ؟ ثم يحدد بعد ذلك الوسيلة، التى تمكنه من الهرب من هذا المكان، ولكنه لم يلبث أن شعر برجفة تسرى فى أوصاله، وهو يتساءل عما إذا كانت ستتاح له الفرصة لكى ينجو حقًا من بين أيدى هؤلاء المتوحشين، أو حتى يعرف حقيقة نواياهم .

وأشار الرجل الضخم الجثة، والذى كان يبدو أنه زعيم هذه القبيلة، فتحرك ثلاثة آخرون من رجال القبيلة، ليحملوا زميله (كوكوف) الذى كان فاقدًا الوعى، إلى أحد الأكواخ .

وأخذ الرجل يهمهم همهمات غريبة، وهو يطلق إشارات أخرى بيده وقدميه، اندفع على إثرها بعض الزنوج، ليحيطوا (بفرانك) الذى توجس منهم شرًا، وبدأ يفقد ثبات أعصابه .

وقاموا بدفعه أمامهم، وهم يرقصون ويطلقون صرخات غريبة فى اتجاه حفرة النار المشتعلة .

وفجأة توقف كل شىء .. وعم السكون المكان .. ورأى (فرانك) هذا الجمع وهو يتفرق، ولكن على مسافات قريبة منه، وقد تعلقت أعينهم بأحد الأكواخ، ونظر (فرانك) إلى الكوخ الذى تعلقت به أعين الزنوج، ليرى رجلًا أبيض يغادره، وقد ارتسمت على وجهه ملامح السرور والارتياح ..

وتقدم الرجل الأبيض من زعيم القبيلة، ليتبادل معه بعض العبارات بلغته، تهلل على إثرها وجه زعيم القبيلة، ورفع يديه عاليًا، وهو يردد بعض الصيحات، ثم ما لبث أن أخذ يحرك قدميه بطريقة غريبة .

وعلى الأثر اندفع رجال القبيلة، بما فيها نساؤهم وأطفالهم، ليحذوا حذوه، وهم يرقصون ويصرخون .. ولكن هذه المرة بطريقة مختلفة عن تلك التى اتبعوها، وهم يدفعونه أمامهم إلى حفرة النار .

وفكر (فرانك) للحظة أن ينتهز فرصة هذه الهستيريا، التى عمت أفراد القبيلة، ليلوذ بالفرار .. لكنه سرعان ما تراجع عن هذه الفكرة .

فهم بالرغم من رقصهم وصياحهم، ما زالوا يحيطون به من كل جانب .. وإذا ما اندفع يركض بعيدًا عن المكان .. فلابد أنهم سيلحقون به، ولديهم استعدادهم الفطرى للركض فى هذه الأدغال الموحشة .

أو سيجد نفسه وقد استقرت إحدى حرابهم السامة فى جسده ، ليلقى مصرعه فى الحال .

وفى تلك اللحظة استلفت انتباه الرجل الأبيض ، ذلك الرجل الجريح الملقى على الأرض ، والدماء تنزف منه .. وزميله الواقف إلى جواره ، فتحدث إلى زعيم القبيلة ببعض العبارات .. بدا على إثرها زعيم القبيلة مترددًا بعض الشىء ، ولكن الرجل الأبيض عاد ليحادثه مرة أخرى .. وبدا كما لو كان يلح عليه فى أمر ما يتعلق بالرجلين .

وما لبث أن تحول زعيم القبيلة إلى أتباعه ، ليأمرهم بنقل الرجل الجريح إلى أحد الأكواخ .

وأطاعه أفراد القبيلة فى الحال ، وقاموا بنقل (كوكوف) إلى الكوخ الذى حدده لهم زعيم القبيلة .

لكن الرجل الأبيض عاد ليطالبه بمطلب آخر ، وبعد أن أخذ الأمر منهما بعض الجدل أمر زعيم القبيلة ، بأن يصطحب اثنان من أفرادها (فرانك) إلى نفس الكوخ ، وما لبث أن لحق بهم الرجل الأبيض ، الذى أحضر معه حقيبة جلدية كبيرة ، تحتوى على إسعافات أولية ، وبعض المشارط الجراحية ، مما يدل على أنه طبيب .

وما إن دخل إلى الكوخ ، حتى حصر اهتمامه فى علاج (كوكوف) من الإصابة التى لحقته ..

ونظر إلى (فرانك) ، قائلًا :

ـ هل تتحدث الإنجليزية ؟

أجابه (فرانك) :

ـ إننى أجيد التحدث بالفرنسية أكثر .

خاطبه الطبيب بالفرنسية ، قائلًا :

ـ كم من الوقت مضى على إصابة زميلك بهذه الشظية ؟

أجابه (فرانك) :

ـ حوالى ثمانى ساعات .

الطبيب :

ـ من حسن الحظ أن الإصابة سطحية .. لكن صديقك نزف كثيرًا ولابد من نقله إلى المستشفى .

(فرانك) :

ـ وهل توجد مستشفى قريبة هنا ؟

الطبيب :

ـ نعم .. ولكن لابد من أن ننتظر بزوغ الفجر قبل أن ننقله إليها .. فالليل فى الأدغال محفوف بالمخاطر .. كما أن صديقك بحاجة إلى بعض الإسعافات الأولية السريعة والراحة قبل نقله إلى المستشفى .

هل يمكنك مساعدتى ؟

(فرانك) :

ـ نعم بالطبع .

الطبيب :

حسن .. ناولنى هذا المطهِّر والمشرط الصغير .

وقام (فرانك) بمعاونته فى أثناء مداواته لـ (كوكوف) .. دون أن يمنعه ذلك من أن يسأله ، قائلًا :

ـ إنك لا تبدو أوربيًا ؟

قال الطبيب وهو مستمر فى عمله :

ـ بل أنا طبيب مصرى .. دكتور (صلاح أمين) .

قال (فرانك) وهو يقدم له قطعة كبيرة من القطن :

ـ إننى سعيد بلقائك يا دكتور .. أنا أدعى (فرانك) من (بلجيكا) ، وهذا زميلى (كوكوف) من (بلغاريا) .

ونظر إلى زميله ، قائلًا :

ـ ترى .. هل سيعيش ؟

الدكتور (صلاح) :

ـ نعم .. ولكن لابد من سرعة نقل الدم إليه خلال الساعات الأولى من الصباح ، وتزويده ببعض المحاليل وإلا أصبح الأمل ضعيفًا .

ألقى الدكتور (صلاح) نظرة على الزنجيين اللذين يصاحبانهم داخل الكوخ ، ثم عاد لممارسة عمله قائلًا :

ـ إنكما من المرتزقة ، أليس كذلك ؟

أجابه (فرانك) ببعض التردد :

ـ نعم .

الدكتور (صلاح) :

ـ ترى إلى أىَ فريق تنتميان ؟

(فرانك) :

ـ لقوات الجنرال (بوكا) .

الدكتور (صلاح) :

ـ إذن فأنتما الآن فى خطر ، لأنكما فى الإقليم الخاضع لقوات الطرف الذى تقاتلونه .

سأله (فرانك) :

ـ هل ستبلغ عنا قوات الجنرال (شومبا) بعد الانتهاء من علاج زميلى ؟

الدكتور (صلاح) :

ـ ذلك لا يعنينى .. فمهمتى تنحصر فى علاج المرضى والمصابين فقط ، بغض النظر عن الجانب الذى ينتمون إليه .

(فرانك) :

ـ من الواضح أنك ممن يضعون الاعتبار الإنسانى فوق أية اعتبارات أخرى ، بدليل أنك تهتم برعاية المرضى من

رجال القبائل البدائية أيضًا .. كما أن من الواضح أن لك تأثيرًا عليهم .. وعلى زعيم القبيلة .

الدكتور (صلاح) :

- من حسن حظكما .. أنهم قد جاءوا بكما، فى الوقت الذى تمكنت فيه من علاج ابن زعيم القبيلة، من مرض عضال .. كاد يفتك به، وفشل سحرتهم فى مداواته بوسائلهم البدائية .. مما اضطرهم إلى الاستعانة بى، وطلبوا منى أن أحضر معهم إلى قريتهم الصغيرة هذه، للعمل على شفائه .

لقد قمت بعلاج عدد من أفراد القبيلة من قبل .. ولكن زعيمهم لم يكن ليستجيب لى، ويوافق على علاجى لزميلك، ثم اصطحابكما معى إلى المستشفى، لولا أن طلبت منه ذلك بإلحاح، بعد علاجى لابنه .. وابتهاج أفراد القبيلة بذلك .

(فرانك) :

- هل يعنى هذا أننا قد نجونا من شرور هؤلاء الزنوج ؟

الدكتور (صلاح) :

- بشرط ألا تحاولا استرداد أى من أسلحتكما التى سلبوكما إياها، وأن تلتزما بالسكينة والهدوء، حتى نرحل مع بزوغ الفجر من هنا .

تهلل وجه (فرانك) بالفرحة، قائلًا :

- إننى لا أعرف كيف أشكرك يا دكتور (صلاح) .. فنحن ندين لك بحياتنا .

قال له الدكتور (صلاح) الذى أخذ جبينه يتصبب بالعرق، وهو يوشك على الانتهاء من مدواة (كوكوف) :

- هل يمكنك أن تجفف جبينى من العرق ؟

سارع (فرانك) بتناول قطعة كبيرة من القطن قائلًا، وهو يجفف له جبينه :

- ولكن ماذا بعد أن تنتهى من علاج (كوكوف) ؟

الدكتور (صلاح) :

- إن مهمتى ستنتهى عند هذا الحد، وبعدها عليكما أن تدبرا الأمر بنفسيكما .. فسوف يتم إخلاء المستشفى خلال خمسة أيام، لتتسلمها قوات (شومبا)، وتتخذ منها حصنًا حربيًا للدفاع عن المنطقة .. وقد تم إخطارنا بذلك .. وتم بالفعل إجلاء عدد كبير من المرضى والجرحى، ونقل عدد آخر من الأطباء والممرضين إلى مستشفى آخر يقع على الحدود .

ولم يعد باقيًا سواى، أنا وطبيب آخر، وممرضة وممرض، وثلاثة من المرضى الذين تستدعى حالتهم تقديم رعاية خاصة .. ولم يكن من الممكن نقلهم مع الآخرين .. ومن بينهم أحد أبناء هذه القبيلة .

كما أن المستشفى تعرض للقصف أكثر من مرة، بوساطة قوات الجنرال (بوكا)، وأصبح الخطر يهدد الجميع هنا .

واستطرد وقد بدت على وجهه ملامح الأسف :

ـ لقد تحولت الأمور هنا إلى مأساة حقيقية .. فمنذ بضعة أشهر فقط كان السلام يعم هذه البلاد .. وكانت (جومايا) فى طريقها للتخلص من متاعبها الاقتصادية، لولا هذه الحرب الأهلية اللعينة، التى خربت كل شىء .

ونظر إلى (فرانك)، قائلًا :

ـ لو أردت رأيى فإننى أحتقر أمثالكم من القتلة المأجورين، الذين يأتون من بلادهم، للمشاركة فى مثل هذه الحروب، التى لا تخلف وراءها سوى المآسى والآلام .. ولكنى لا أخلط دائمًا بين مشاعرى الشخصية، وبين واجبى الإنسانى .. لذا فسوف أبذل أقصى جهدى لإنقاذك، وإنقاذ زميلك، كطبيب وكإنسان، ولكن بعدها سيكون كلّ منكما مسئولًا عن إنقاذ نفسه، من بوتقة الجحيم هذه، التى أتيتم إليها سعيًا وراء أطماعكما المادية .

سنقضى الساعات المتبقية من الليل هنا .. وبعدها سنتخذ طريقنا إلى المستشفى الذى يقع على بعد خمسة كيلومترات من هذا المكان .

وادع معى ألا يغير زعيم القبيلة رأيه، خلال هذه الساعات، فأولئك القوم لا يمكن التنبؤ بأفعالهم وطريقة تفكيرهم .

ربّما هم يحملون لى بعض التقدير، لما قدمته لهم من خدمات علاجية، ولشفائى بعض أبنائهم .. ولكنى لا أملك هذا التأثير الكبير، الذى تتخيله عليهم فى حالات كثيرة .. وخاصة فى حالة الانفعال والغضب .

فبعض أطراف الحرب الأهلية، قتلوا العديد من أبناء القبائل، ومن بينهم أبناء هذه القبيلة .. لذا فلديهم حساسية شديدة، تجاه أصحاب الملابس العسكرية .. وهم لا يفرقون فى ذلك بين جنود (بوكا) أو جنود (شومبا) .

واستلقى الطبيب على الفراش المجهز من سعف النخيل، ليحصل على قسط من النوم، خلال الساعات المتبقية من الليل .

وكذا فعل (فرانك) .. لكنه لم يستسلم للنوم كما فعل الدكتور (صلاح) برغم التعب والإجهاد الذى كان يشعر به .

فقد أخذ يفكر فيما قاله له الطبيب .. وتساءل عما يمكن أن يحدث، لو غير زعيم القبيلة رأيه، وقرر أن يتخلص منهما .

إن هؤلاء الرجال من البدائيين، لا يمكن التنبؤ بأفعالهم التالية بالفعل وهو لن يستطيع أن يجد لنفسه أية وسيلة للمقاومة، دون سلاحه .

لذا فقد كان يتعين عليه، أن يستعيد هذا السلاح بأى ثمن .

والتقطت أذنه صوت دقات طبول، وبعض الترنيمات التى كانت تدور بالخارج، والتى كانت تختلف كثيرًا عن حالة الهستيريا التى صاحبت نبأ شفاء ابن القبيلة .

كانت الدقات هادئة وفى رتم بطىء متكرر .

ونظر من إحدى فتحات الكوخ، المكون من جذوع الأشجار وسعف النخيل، فلمح الحارس الواقف عند مدخل الكوخ، وقد تسلح بحربته فى يقظة تامة .. وإن كان قد بدا متشوقًا لمرافقة باقى أفراد قبيلته فى ذلك الاحتفال الذى يقيمونه .. والذى يعلنون عنه بدقات الطبول، وبتلك الترنيمات الغريبة .

ونظر (فرانك) إلى الحقيبة التى أحضرها الطبيب .. وتذكر زجاجة البنج (المخدر)، التى رآها فى الحقيبة .

فقام بفتحها وهو يرقب الطبيب فى أثناء نومه، ثم تناول قطعة كبيرة من القطن أغرقها بكمية وفيرة من المخدر الموجود فى الزجاجة .. ثم تسلل من الكوخ فى خفة وحذر على أطراف قدميه .

وانتهز فرصة تطلع الحارس إلى مصدر الاحتفال، وهو يتراقص ويتمايل بحربته، على صوت دقات الطبول، لينقض عليه من الخلف، قابضًا بقوة على رسغ يده الممسكة بحربة، وواضعا باليد الأخرى قطعة القطن التى تحتوى على السائل المخدر فوق أنفه .

وعلى الفور خارت قوى الحارس، الذى سقطت الحربة من يده .. وقد سرى مفعول المخدر فى جسده، فسقط على الأرض فاقدًا الوعى .

وتسلل (فرانك) بين أكواخ القرية التى بدت مهجورة .. وقد انشغل أفرادها بمتابعة ذلك الاحتفال، الذى أقيم فى بقعة تحيطها الأشجار، على مسافة عدة أمتار من مدخل القرية .

وبدت الفرصة بالنسبة له سانحة لاستعادة سلاحه، الذى كان متروكًا بلا عناية، بالقرب من حفرة النـار، التى أوشكت على أن تخمد جذوتها ولم يكن هناك سوى شخص آخر من أفراد القبيلة واقفًا أمام الكوخ القريب، المطل على هذه الحفرة .

وقرر (فرانك) أن يتعامل معه .. فقد كان ما يزال محتفظًا فى يده بقطعة القطن التى تحتوى على المخدر .

وانتهز فرصة تطلّع الحارس إلى مصدر الاحتفال ، وهو يتراقص ويتمايل بحربته ، على صوت دقات الطبول ، لينقض عليه من الخلف ..

وبالفعل تسلل (فرانك) من خلفه ، ثم انقض عليه مثبتًا قطعة القطن فوق أنفه ، ليجعله يغيب عن الوعى ويلحق بزميله ، وأسرع بالتقاط سلاحه ، واستولى أيضًا على مسدس (كوكوف) الذى كانوا قد جردوه منه .

وهمّ بالفرار ، ليتخذ لنفسه بقعة بعيدة عن القرية يلجأ إليها ، حتى يبزغ الصباح ، فيعمد إلى الهرب من هذه الأدغال بأسرها .

ولكن شيئًا ما ، دفعه إلى إلقاء نظرة ، على تلك الطقوس والاحتفالات البدائية ، التى يقيمها أبناء القبيلة .

فتسلل بين الأشجار ليحتمى بإحداها ، وهو يراقب أفراد القبيلة .. وقد استغرقوا فى رقصات بطيئة نوعًا ما ، تناسب دقات الطبول الهادئة .

وأخذ زعيم القبيلة يردد بعض العبارات .. ثم تبعه ساحر القبيلة ، والذى كان يضع فوق وجهه قناعًا مخيفًا من جلود النمور .. ولكن بصوت أقوى وأعنف ، وبدا ساحر القرية وكأنه يصدر بعض التعليمات والأوامر ، إلى بعض أبناء القبيلة ، الذين كانوا ينظرون إليه بمهابة وإجلال ، يدل على مدى المكانة التى يتمتع بها بينهم ، والتى كانت تبدو وكأنها تفوق مكانة الزعيم .

وعقب انتهاء الساحر من إصدار أوامره، قام ثلاثة من أبناء القبيلة بنبش مجموعة من أوراق الشجر، ليخرجوا من بينها كرة كبيرة وغريبة الشكل، بدت وكأنها خليط من الزجاج البلورى، ومن الرخام الأملس الناعم .

وحمل الثلاثة الكرة بين أيديهم ليضعوها أمام الساحر .

وما إن استقرت بين قدمى الساحر، حتى تعالت دقات الطبول، وازداد إيقاع الرقص بين أبناء القبيلة سرعة وتشنجًا .

واستمر الرقص حوالى خمس دقائق .. ثم سرعان ما توقف بإشارة واحدة من يد الساحر، ليعم المكان سكون ورهبة .

وأخذ الساحر يردد بعض الترنيمات والتلاوات، بصوت مخيف، وهو يحرك أصابع يديه بطريقة متشنجة، فوق الكرة الغريبة الموضوعة أمامه .

وما لبث أن امتدت يداه لتلمس الكرة، وبدا وكأنه يحاول أن يحرك نصفها العلوى حركة عكسية .. ولكن محاولته كانت تبدو وكأنها شديدة العناد، وتحتاج منه إلى جهد غير عادى .

وبعد قليل استطاع أن يحرك النصف العلوى للكرة البلورية الرخامية، كما أراد، ليجعلـه فى الاتجـاه المعاكس .

ثم تباعد عن الكرة بعدة خطوات، وهو يتراجع إلى الخلف .. وكذلك فعل مثله أبناء القبيلة، وفجأة انبعثت شعلة من النار داخل الكرة .. وقد ازداد توهجها تدريجيًا .. فى حين انبعثت الشهقات، وبدت معالم الرهبة والخوف واضحة على وجوه أبناء القبيلة .

وبعد قليل خبت الشعلة الناريـة .. فى حين تنـاول الساحر عددًا من الأحجار ذات أحجام مختلفة تشبه الفحم، ليلقى بها داخل الكرة .

وعاد ليحرك نصفها العلوى ليعيده إلى مكانه .. تاركًا قطع الفحم داخل الكرة .

وعاد مرة أخرى لترديد ترنيماته وتلاوته الغريبة، وهو يحرك أصابع يديه فوق الكرة .

بينما عاد أفراد القبيلة إلى الرقص السريع الصاخب، ليرافق صوت دقات الطبول الصاخبة أيضًا .

وبعد عدة لحظات أخرى، قام الساحر بتحريك النصف العلوى للكرة فى الاتجاه العكسى مرة أخرى، لتعود شعلة النار فتنبعث من داخلها، ثم ما لبثت شعلة النار أن خمدت من جديد .

وقام الساحر بلف يديه ببعض أوراق الأشجار .. ثم مدّ يديه داخل الكرة، وقد بدا وكأنه يستعيد قطع الفحم التى ألقاها بداخلها .

وجحظت عينا (فرانك) وهو يراقب هذا المشهد، ولم يكن هذا الجحوظ بسبب المشهد الذى رآه .. ولكن بسبب النهاية التى انتهى إليها .

فقد رأى يدى الساحر مليئة بقطع الماس .. الذى تناوله من داخل الكرة الغريبة .

وهتف قائلا فى ذهول :

ـ غير معقول لقد تحول الفحم إلى ماس .. إنها معجزة .

وكان على حق فى قوله هذا ..

إنه لا يشاهد حدثًا عاديًّا ..

بل معجزة ..

معجزة كرة النار .

★ ★ ★



٣ ـ فخ الشيطان ..

كانت الساعة قد جاوزت الثانية صباحًا ببضع دقائق قليلة، عندما غادر (ممدوح) مكمنه فى تلك الجزيرة المنعزلة وسط شعاع مصباحه الكهربائى الصغير، على ذلك الجدار الصخرى فى باطن الجبل، ومد يده داخل الشق الصخرى؛ حيث أخذت أصابعه تتحسَّس النتوءات الموجودة بداخله، إلى أن استقرت على ذراع معدنى صغير، حركه إلى أعلى، فتحرَّك الجدار على الأثر، كاشفًا عن فراغ خلفه.. وتقدم (ممدوح) داخل هذا الفراغ حتى انتهى به الأمر إلى دهليز صغير، اجتازه بخطوات حذرة، وما لبث أن وجد أمامه حديقة صغيرة، بها أنواع مختلفة من النباتات والزهور، فتناول مسدسه وهو يتقدم داخل هذه الحديقة، متلفتًا حوله بعد أن أطفأ مصباحه .

كان السكون يخيم على المكان.. وكأنه يخلو من أى كائن .

واستعان (ممدوح) بحدة بصره، ليتبين أمامه مبنى صغيرًا من أحجار البازلت فى نهاية الحديقة .

تردّد فى اقتحام المبنى، الذى وجد بابه غير موصد .. فقد دلته غريزته على أن الأمر يبدو وكأنه فخ منصوبٌ بإحكام .

ولكن كان عليه أن يستكشف ما يدور داخل هذا المبنى بأية وسيلة .. وكان عليه أن يلجأ إلى المخاطرة ..

ولكن مخاطرة محسوبة ..

وأخذ يبحث حوله عن وسيلة، تمكنه من تبين حقيقة ما إذا كان هناك فخ قد أعد، لمن يحاول اقتحام هذا المبنى أم لا .. فلمح جاروفًا وشوكة معدنية كبيرة، من ذلك النوع الذى يستخدم فى تقليب الأرض الزراعية .. ولابد أنهما كانا يستخدمان فى العناية بالحديقة .

فقام بغرز إحدى أسنان الشوكة المعدنية، فى عصا الجاروف الخشبية، بعد أن جعل الجزء المعدنى منه إلى أعلى .

ثم مدّ عصا الشوكة أمامه، دافعًا بالجاروف عبر الباب المفتوح .

وفجأة اندفع من جانبى الباب من الداخل، شىء أشبه بالمخالب المعدنية الحادة، فى وقت واحد، وحركة مباغتة، لتمسك بخناق الجزء المعدنى من الجاروف، والمرفوع عاليًا .. والذى التوت أطرافه المعدنية تحت ضغط المخالب الحادة .

وتنفس (ممدوح) الصعداء وقد تساقطت بعض حبات عرق من جبينه ..

فلو كان قد تقدم ليعبر هذا الباب إلى الداخل، بدلًا من استخدامه للجاروف والشوكة المعدنية على هذا النحو .. لكانت هذه المخالب قد أطبقت على عنقه الآن وحطمته تمامًا ..

وترك (ممدوح) رأس الجاروف معلقًا بين المخلبين المعدنيين، وأحنى هامته قليلًا، ليعبر إلى الداخل وقد أمسك بمسدسه مرة أخرى .

ووجد نفسه فى ردهة فسيحة عارية من الأثاث .. فسار بداخلها فى حذر حتى وجد نفسه فى النهاية أمام قبو صغير، هبط إليه بوساطة سلم خشبى تاكلت بعض أطرافه .

ووقف (ممدوح) فى أحد أركان القبو مستترًا بالظلام، وهو يحاول أن يتأمله مستعينًا ببصره الحاد .

وبقى السكون مخيمًا على المكان .. كانت الأرض تحته أسفلتية خشنة، ولا شىء يدل على وجود حياة .

فعاد ليرتقى فى درجات السلم الخشبى مرة أخرى، صاعدًا إلى أعلى .. ولكنه ما كاد يضع قدمه على الدرجة الثالثة من السلم، حتى انفتحت تحت قدميه، وفى اللحظة التالية، وقبل أن يتبين (ممدوح) ما حدث له، وجد نفسه يسقط فى هوة عميقة مظلمة .. ثم اصطدم بشىء صلب، وغاب عن الوعى .

★ ★ ★

استرد (ممدوح) وعيه تدريجيًا، وبدأ يفتح عينيه بصعوبة، ليجد أمامه شخصًا ذا ملامح آسيوية، يتأمله بوجه جامد الملامح .

وأجال النظر حوله، فوجد نفسه ملقىً على أرض رخامية باردة .

وكانت الإضاءة ضعيفة، فلم يستطع أن يتبين ما يدور حوله بصورة جيدة، لم يكن هناك سوى تلك العينين الضيقتين، لذلك الرجل الآسيوى ذى الملامح الجامدة، والنظرات الباردة .

وفجأة استل الرجل الآسيوى سيفًا حادًا من النطاق الملتف حول وسطه، وصوب حده إلى جبهة (ممدوح) .

ثم أخذ يحركه فى الهواء وحول وجهه، بحركات بهلوانية تثبت مهارته فى استخدامه .

وظل (ممدوح) جالسًا فى مكانه على الأرض، وهو يواجه هذه الحركات بثبات وهدوء أعصاب .

فقد كان من الواضح أن الرجل يهدف إلى إخافته، وبث الذعر فى نفسه .

وبرغم صلابة (ممدوح) فى مواجهة هذا السيف البتار .. إلا أنه فى داخله كان قلقًا ومتحفزًا لمواجهة حقيقية مع الموت .

فما دام قد وقع بين أيديهم .. فلابد أنهم سيعملون على التخلص منه عاجلًا أم آجلًا .. خاصة وأن أفراد هذه العصابة، كانوا يتتبعون خطواته منذ البداية، ويعلمون أنه أصبح يشكل خطرًا عليهم .

ولم يكن (ممدوح) بحاجة للكثير من الجهد، لكى يتبين أنهم قد جردوه من سلاحه، وحتى لو كان ما زال محتفظًا بمسدسه فى الجراب الملتف حول إبطه، فإن أى حركة غير عادية من جانبه لتناوله، سيكون محكومًا عليها بالفشل، ما دام ذلك الآسيوى يتلاعب بسيفه حول وجهه بهذه المهارة .. والنزعة الجنونية الواضحة لديه للقتل، وإغماد هذا السيف فى صدره أو عنقه .

ويبدو أن الرجل الآسيوى قد أدرك ما يفكر فيه (ممدوح) .. إذ سرعان ما توقف عن التلاعب بسيفه، وابتسم ابتسامة صفراء كشفت عن أسنان قبيحة، ثم مد يده إلى مائدة صغيرة بجواره، ليتناول من فوقها مسدس (ممدوح) ليلقيه أمامه .

وأشار له بيده قائلًا ـ بلهجة لم يفهمها (ممدوح) ـ بعض العبارات، وكان من الواضح أنه يريد منه أن يلتقط مسدسه .. وكان المسدس على بعد متر واحد من قدمى (ممدوح)، الذى تبين أن الأمر لا يعدو كونه نوعًا من التحدى .

وتردّد (ممدوح) فى التقاط المسدس .. ولكن الآسيوى عاد ليشير له مردّدًا تلك الكلمات غير المفهومة، بطريقة متشنجة وعصبية .

ثم ما لبث أن ارتفع صوته إزاء إحجام (ممدوح) عن التقاط المسدس، ليصل إلى حد الصراخ .

وأخيرًا امتدت يد (ممدوح) سريعًا لالتقاط المسدس .. لكن قبل أن يضع أصبعه عليه .. كان الآسيوى قد أطاح به فى الهواء بسيفه، فى ضربة قوية، جعلته يصطدم بالجدار .

وأطلق ضحكة مجلجلة .. ثم حرك السيف ليشق به سترة (ممدوح) فيمزقها نصفين .

وعاد ليضع حد السيف أمام جبهته وهو يديره فى حركات دائرية سريعة، محاولًا التأثير على أعصابه .

ولمح (ممدوح) مقعدًا خشبيًا صغيرًا على بعد خطوات منه .. فأخذ يتراجع للوراء زاحفًا على الأرض، وكأنه يخشى سيف غريمه .

وبدا الآسيوى سعيدًا بهذا التراجع .. الذى أوحى إليه بأن (ممدوح) خائف منه، فقد كان يتميز غيظًا لثبات أعصابه، على هذا النحو الذى لم يتوقعه، وعاد ليبتسم تلك الابتسامة الصفراء، وهو يلوح بسيفه أمام وجه (ممدوح)، والأخير يتقهقر أمامه إلى الخلف مرتكزًا على راحتيه وقدميه .

وبينما كان يتراجع إلى الوراء، لامست أصابعه القوائم التى يتركز عليها المقعد الخشبى .

وعلى الفور قبض على إحدى قدمى المقعد .. ثم حركه أمامه رافعًا إيّاه إلى أعلى، فى اللحظة التى دفع فيها الآسيوى بحد سيفه فى اتجاهه وقد بوغت بهذه الحركة .

فانغرز حد السيف فى قاعدة المقعد الخشبى، لتغوص فيه، وقد برزت من الجهه الأخرى للقاعدة الخشبية .. فى حين نهض (ممدوح) سريعًا واقفًا على قدميه .

ووجد الرجل صعوبة فى انتزاع السيف من قاعدة المقعد مرة أخرى .. وكان هذا هو ما يحتاج إليه (ممدوح) تمامًا .

إن ظل قابضًا بيده فى قوة على إحدى أرجل المقعد، والرجل الآسيوى يحاول انتزاع سيفه منه، وقد أخذ يحركه يمينًا ويسارًا، مقاومًا محاولات الرجل .

ثم سدّد ركلة قوية بقدمه اليمنى إلى ساق الرجل .. جعلته يتألم بشدة، أتبعها بركلة أقوى فى ذقنه، جعلته يترنح قليلًا إلى الوراء، واستغل ترنح الرجل ليجذب المقعد فى قوة منتزعًا معه السيف المغروز فى قاعدته من يد الرجل .

وألقى بالمقعد بعيدًا، وهو يواجه الآسيوى مواجهة رجل لرجل بعد أن جرده من سلاحه .

واستعد الآسيوى بدوره لمواجهته، متخذًا وضع لاعبى الكراتيه، وقد بدت علامات الغضب والشراسة واضحة على وجهه .

وحاول (ممدوح) أن يسدّد ركلة أخرى إلى جسد غريمه .. ولكن الأخير تفاداها ببراعة .. ثم وثب فى اتجاهه منقضًا على عنقه بضربة قوية من حافة يده، جعلت (ممدوح) يتألم بشدة .

وقبل أن يتخلص من آلام الضربة التى أصابت عنقه، كان الآسيوى قد سدد إليه ركلة قوية فى ركبته، جعلته يجثو على الأرض .

وهم بتسديد ركلة أخرى إلى وجهه، ولكن (ممدوح) قبض على قدمه فى اللحظة التى ارتفعت فيها عن الأرض، ودفع به إلى الوراء .. فسقط على الأرض .

وحاول (ممدوح) النهوض لمهاجمته .. ولكن ركبته كانت تؤلمه بشدة، من أثر الضربة التى تلقاها .. فقد كانت الضربة فنية محكمة، بحيث تركت آثارها على ركبته، فعاد ليجثو على الأرض مرة أخرى، فى حين نهض الآسيوى سريعًا، واندفع لينتزع سيفه من المقعد الخشبى

وهو يهم بمهاجمة (ممدوح)، الذى لم يكد يلمح السيف فى يده، حتى تدحرج على الأرض سريعًا فى اتجاه مسدسه، حيث تمكن من التقاطه قبل أن يهوى الآسيوى بسيفه على عنقه .

وكان الآسيوى واقفًا فوق رأسه، وقد رفع سيفه إلى أعلى بكلتا يديه وعلى وجهه تلك الابتسامه الصفراء، عندما تمكّن (ممدوح) من التقاط المسدس، وقال :

- هذه المرة .. أنا الأسرع .

واستطرد قائلًا :

- ألق بهذا السيف .. وإلا أطحت برأسك .

ولكن الآسيوى لم يلق بسيفه، كما أمره (ممدوح) .. بل ظل رافعًا إيّاه إلى أعلى، وقد عادت تلك الابتسامه الصفراء لتظلّل وجهه .

وعاد (ممدوح) ليقول :

- قلت لك ألق بهذا السيف وإلا قتلتك .

نظر إليه الآسيوى نظرة ساخرة .. وقال له شيئًا بدا كما لو كان يطلب منه أن يجرب .

ولكن الآسيوى لم يلق بسيفه ، كما أمره (ممدوح) .. بل ظل رافعًا إيّاه إلى أعلى ..

فضغط (ممدوح) زناد المسدس .. لكن الرصاصة لم تنطلق .. وعاد ليضغط على الزناد مرة ثانية وثالثة .. ودون جدوى، وعندئذ أطلق الآسيوى تلك الضحكة المجلجلة مرة أخرى، كاشفًا عن أسنانه القبيحة .. ونظرة السخرية تتراقص فوق عينيه .

ثم صرخ صرخة قوية، وهو يحرك سيفه إلى الخلف عاليًا تأهبًا لكى يهوى به على رأس (ممدوح) .. وبلا هوادة ..

★ ★ ★



٤ ـ مصير الشيطان ..

فجأة، أضيئت الأنوار فى المكان، وارتفع صوت آمر، يقول :

ـ (شانج) .. هذا يكفى .

أعاد الرجل الآسيوى سيفه إلى الجراب المعلق حول خصره على الرغم منه، وهو يتميز غيظًا .. وقد بدا من ملامح وجهه الشرسة الحانقة، أنه كان يتمنى الفتك (بممدوح)، الذى نظر حوله فرأى قاعة فسيحة عارية من الأثاث .. ثم تطلع إلى ذلك الرجل الذى أصدر الأمر إلى الآسيوى، فوجده طويل القامة .. نحيل الجسد، تجاوز الخمسين من عمره .. وإن بدا شديد العناية بمظهره، برغم شعره الأبيض المشعث .

وتقدم الرجل نحو (ممدوح) وهو يرمقه بنظرات جامدة .. قائلًا :

ـ مرحبًا بك فى منزلى يا مستر (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) برغم صعوبة الموقف .. قائلًا بسخرية :

ـ يا له من منزل يختفى بين صخور الجبل، وبه العديد من الدهاليز والأقبية، إنه شىء أشبه بمغارة (على بابا) التى وردت فى قصص ألف ليلة وليلة .

قال الرجل ببرود :

ـ إنه بالفعل قريب الشبه من ذلك .. وها هو ذا الكنز الذى نحتفظ به هنا، فى هذه المغارة .

وجذب أحد الحبال الممتدة من أحد جانبى القاعة .. فتحرك ستار رمادى قاتم، كان (ممدوح) يظنه جدارًا من جدران القاعة، للتشابه الشديد مع لون الجدار .

وما إن تحرك الستار، حتى كشف عن قاعة أخرى أكثر اتساعًا، وبها ستة أشخاص، وثلاث ماكينات ضخمة، وصناديق خشبية تحتوى على الآلاف من الدولارات .

ونهض (ممدوح) واقفًا، وهو يتأمل تلك الأشياء .. فها هو ذا أخيرًا قد اطلع على وكر المزيفين .

وأردف الرجل قائلًا :

ـ الكنز هذه المرة عشرات الآلاف .. بل الملايين من الدولارت الأمريكية .

قال (ممدوح) متهكمًا :

ـ تقصد الدولارات الأمريكية الزائفة .

ابتسم الرجل للمرة الأولى وهو يصحب (ممدوح) إلى قاعة التزييف، وقد سار الآسيوى خلفهما، قائلًا :

ـ تمامًا .. الدولارات الأمريكية الزائفة .

ثم تناول إحدى العملات الورقية من فئة المائة دولار من أحد الصناديق الخشبية، ليعرضها أمام (ممدوح) قائلًا :

ـ ولكنها متقنة التزييف، إلى الحد الذى يجعل أمهر الخبراء عاجزًا عن أن يفرق بينها وبين الدولارات الحقيقية .. انظر إلى هذه، ما رأيك ؟

تناولها (ممدوح) بين يديه، وهو ينظر إليها قائلًا :

ـ إنه بالفعل تزييف متقن للغاية .. وهذا ما دفع بى إلى الحضور إلى هنا .. فقد تسللت هذه العملات الزائفة بكميات ضخمة إلى (مصر) .. ووصلت إلى عشرات الملايين .. وكان من الواضح أن الهدف منها هو الإضرار بالاقتصاد القومى المصرى .

وقد علمت بعد جمع العديد من التحريات، أن (ستافلوس) صاحب أكبر سجل فى مجال التزييف، والذى غادر السجن أخيرًا منذ بضع سنوات، هو الذى يقف وراء هذه الدولارات الزائفة .. ويعمل على إدخالها إلى (مصر)، وبعض البلاد العربية الأخرى، بتحريض من أحد أجهزة المخابرات الأجنبية، التى تهدف إلى الإضرار باقتصاد هذه البلاد .. وذلك لقاء دولارات حقيقية بالطبع، تقبضها من عميل المخابرات .. أليس كذلك يا عزيزى (ستافلوس) ؟

أجابه الرجل :

ـ تقديرك فى محله يا عزيزى (ممدوح) .. غير أنك قد أضفت لى بعض الفضل، الذى لا أستطيع أن أنسبه إلى نفسى .. فمهمتى تنحصر فى تزييف الدولارات فقط، وإعدادها للترويج فى الأسواق .

أما تهريبها إلى (مصر) وغيرها من البلاد العربية، فهذه مهمة جهاز المخابرات الذى يقف وراء هذه العملية .. إننى أقتصر على الجانب الفنى لهذه العملية .

نظر (ممدوح) إلى الرجال الذين يقومون بالطباعة، وكذلك إلى الرجل الآسيوى، قائلًا :

ـ وزعامة هذه العصابة أيضًا .

(ستافلوس) :

ـ بالطبع إنهم رجالى .

واستطرد قائلًا :

ـ كان بودى أن أقضى عليك الآن فى الحال .

ثم نظر إلى الآسيوى، قائلًا :

ـ ومما لا شك فيه أن (شانج) يسعده أن يقوم بتنفيذ ذلك، غير أن الأوامر الصادرة إلىّ من عميل المخابرات، تقضى بأن أسلمك إليهم، فيبدو أنك تهمهم كثيرًا .

لذا فسوف تكون أسيرى هذه الليلة ، حتى يتم الاتفاق على تسليمك إليهم .. ولست بحاجة لكى أذكرك بأننى سأكون فى حل من هذا الاتفاق ، لو حاولت القيام بأية تصرفات طائشة ، لا أرضى عنها .. ففى هذه الحالة لن يكون هناك مناص من قتلك .. وما زال (شانج) متحمسًا لتنفيذ ذلك .

واصطحب (شانج) (ممدوح) إلى إحدى الغرف المغلقة ، لكى يسجنه بها حتى اليوم التالى .

وظل (ممدوح) طوال الطريق يزن قوة غريمه .. كان من الواضح أن (شانج) هذا شديد الغرور والاعتداد بنفسه ، فهو لا يحمل معه أى سلاح نارى ، على الأقل لتهديد (ممدوح) إذا ما حاول الهرب أو المقاومة .

وأنه يعتمد على ثقته بنفسه ، وعلى مهارته فى استخدام سيفه الذى يبدو له أكثر ردعًا من أى سلاح آخر .

وكان على (ممدوح) أن يستغل هذا فى التخلص من الرجل .. فلم يكن مستعدًا لأن يكون أسيرًا (لستافلوس) هذه الليلة بأى حال من الأحوال .

وعندما وصلا إلى الغرفة المغلقة ، قام (شانج) بفتح بابها ، وأمر (ممدوح) بالدخول وهو يلوح له بسيفه .

وتظاهر (ممدوح) بعدم الفهم مما جعل (شانج) يزداد انفعالا وهو يشير له بدخول الغرفة .

وما لبث أن قام بدفعه إلى الداخل .. وانتهز (ممدوح) هذه الفرصة لكى يجذب ذراع الرجل القابضة على السيف .. مغلقًا عليها باب الغرفة فى قوة آلمت (شانج) وجعلت السيف يسقط من يده .

وعلى الفور جذبه (ممدوح) إلى داخل الحجرة .. وأخذ يكيل له اللكمات فى سرعة وقوة ، باغتت (شانج) .. فأخذ يترنح تحت تأثير هذه اللكمات .. وجاءت اللكمة الأخيرة وقد أودع (ممدوح) فيها كل قوته لينهى الأمر .. فقد أصبح فى صراع مع الزمن .

وبالفعل أتت اللكمة بمفعولها ، فتهاوى (شانج) على الأرض فاقدًا الوعى ، وعلى الفور قام (ممدوح) بسجنه داخل الحجرة وإغلاق بابها عليه .. ثم عاد ليتسلل حيث توجد الآلات الخاصة بالتزييف .

وحرك مؤشر ساعته التى كانت مزودة بجهاز لاسلكى .. لكى يحدد موقعه لمجموعة خاصة من الأفراد المسلحين والمدربين .. الذين تحركوا سريعًا بمجرد تلقى الإشارة اللاسلكية .

ثم راقب من موقعه عصابة (ستافلوس)، وهم يتوجهون إلى قاعة مخصصة للطعام، كى يتناولوا طعام العشاء .

وانتهز الفرصة لكى يتسلل إلى غرفة التزييف، حيث رفع طرف سرواله إلى أعلى كاشفًا ساقه، وقد ثبت عليها جهازين صغيرين، بوساطة شريط مطّاطى .. وأنبوب معدنى صغير فى حجم أصبع اليد وقام بتثبيت الجهازين فى آلات التزييف بطريقة خفية .. ثم أشعل النار بقداحته فى أوراق النقد الزائفة .. ووضع الأنبوب المعدنى بين أسنانه وقبل أن يغادر الغرفة، قام بتثبيت ميكرفون صغير فى أحد نتوءات الجدران الصخرية، ثم انطلق ليتخذ لنفسه طريقًا إلى الهرب بأعصاب باردة .

وما لبث أن اعترضه أحد الأشخاص، فى اللحظة التى كان يهم فيها بالتسلل إلى الحديقة، حيث شهر سلاحه فى وجهه .

ولكن (ممدوح) ضغط بأسنانه على مؤخرة الأنبوب المعدنى، فانتزع غطاءه المطاطى، ثم نفخ فيه فى مواجهة الرجل، فانطلق منه سهم صغير فى حجم إبرة الحياكة الكبيرة، ليستقر فى صدره .. فهوى صريعًا فى الحال .

وواصل (ممدوح) طريقه .. حتى تمكن من مغادرة الجبل الصخرى .

وما لبث أن وجد زملاءه من أفراد الوحدة المسلحة .. فى انتظاره، حيث استقبلوه بترحاب وابتهاج شديدين لنجاته من القتل على يد (ستافلوس) وأعوانه، ونجاحه فى مغادرة المكان .

وبدأ كل منهم فى اتخاذ موقعه بين الأشجار والصخور المحيطة بالجبل .. حيث تناول (ممدوح) ميكروفونًا صغيرًا، وبدأ يتحدث من خلاله عبر السماعة التى دسها داخل غرفة التزييف قائلًا :

- والآن يا عزيزى (ستافلوس) يجب أن تعرف أن الأمر قد انتهى بالنسبة لك ولعصابتك، فقد قمت بدس قنبلتين من نوع شديد الانفجار، بطريقة خفية، وفى موقعين مختلفين، داخل الوكر الذى تحتمى فيه أنت ورجالك .

وبدا الصوت واضحًا، داخل القاعة التى يوجد بها (ستافلوس) وأعوانه الذين بدءوا يشعرون ببعض الاضطراب، لدى سماعهم صوت (ممدوح) يأتيهم محذرًا وتابع هو حديثه، قائلًا :

- يجب أن تعرف أن للقنبلتين قوة تدميرية شديدة، كافية لكى تدك المكان بأسره، وأن الوقت المتاح لك ولرجالك قبل انفجارهما، دقيقتان فقط منذ الآن .

لذا فعليك أن تستغل الوقت المتبقى أمامك، بدلًا من أن تضيعه فى البحث عن مكان القنبلتين، وتعمل على الهرب أنت وأعوانك من الجحيم المنتظر .

انتابت أعوان (ستافلوس) حالة من الرعب والهلع لدى سماعهم لذلك .

واقترح بعضهم محاولة البحث عن مكان القنبلتين، خلال الدقيقتين المتبقيتين، بينما اقترح البعض الآخر سرعة مغادرة المكان، قبل أن تنفجرا .

وما لبث أن انتصر الرأى الأخير، وتأهب أفراد العصابة لمغادرة الجبل .

وصاح فيهم (ستافلوس)، قائلًا :

- لا داعى لهذا الاضطراب والخوف .. فأنا لا أعتقد أنه توجد أية قنابل من أى نوع هنا .

إنه يحاول التأثير عليكم وإثارة مخاوفكم بهذا الادعاء .. وربما كان فى الأمر كمين أعد لكم فى الخارج .. بل إنه ربمّا ما زال هنا فى مكان ما .. ولم يغادر الجبل بعد .. استمروا فى عملكم دون خوف .

صاح أحدهم، قائلًا :

- وما أدرانا أن ما يقوله ذلك الرجل غير صحيح ؟.. لقد تخلص من (شانج) وتمكن من الهرب، وربما تمكن من دس هاتين القنبلتين حقًا كما يقول :

- إن الوقت المتبقى أمامنا ضئيل للغاية، ولن نستطيع أن نتبين ما إذا كان صادقًا أم لا .. وإذا تحولنا إلى أشلاء سيكون قد فات الوقت على تبين أى شىء .. أنا عن نفسى سأهرب .

شهر (ستافلوس) مسدسه فى وجههم، قائلًا :

- إذا حاول أحدكم مغادرة المكان، فسوف أقتله فورًا .

لكن أحدهم لم يستجب له، واندفعوا يغادرون المكان، بطريقة محمومة، برغم الطلقات التى أطلقها (ستافلوس) لإرهابهم .

وبقى هو وحده يصيح ويصبّ لعناته :

- أيها الجبناء .. الرعاديد .. قلت لكم لا يوجد أى شىء من هذا الذى يدعيه ذلك الرجل .. لقد نجح فى التأثير عليكم، وبث الخوف فى نفوسكم .

واندفع أفراد العصابة خارج الجبل، حيث أحاط بهم أفراد الوحدة الخاصة التابعة للمكتب رقم (١٩) وتمكنوا من القبض عليهم .

وتساءل (ممدوح) :

ـ أين (ستافلوس) ؟

قال أحد زملائه :

ـ يبدو أنه فضل البقاء بجوار آلاته ومعدات التزييف بالداخل .

قال (ممدوح) بنبرة هادئة :

ـ إذن فقد اختار مصيره بنفسه .

وما إن انتهى من التصريح بهذه العبارة ، حتى دوى فى المكان صوت انفجار شديد كصوت الرعد .

والتفت أعوان (ستافلوس) خلفهم ، وهم يستعدون لركوب إحدى سيارات وحدة العمليات الخاصة .. وقد تنفس بعضهم الصعداء .

فممّا لا شك فيه ، أن القبض عليهم وتسليمهم إلى السلطات ، أهون بكثير من التحول إلى أشلاء ممزقة .

أما (ستافلوس) فقد هلك بجوار آلاته المحطمة ودولاراته الزائفة .

وبذلك انتهت أكبر عملية ، لتخريب الاقتصاد المصرى ، بوساطة ملايين الدولارات الزائفة ، التى دخل بعضها إلى البلاد ، والتى كان (ستافلوس) وأعوانه ، وجهاز

المخابرات المعادى الذى يقف خلفه يستعدون لإدخال الجزء الأكبر منها إلى (مصر) خلال الأسابيع القادمة .

واستعد (ممدوح) للعودة ، إلى القاهرة ، بعد نجاحه فى تنفيذ هذه العملية ..

وبدء عملية جديدة .





٥ ـ مهمة فى الجحيم ..

نزع (ممدوح) منظاره الشمسى الداكن عن عينيه، وهو يتأهب لدخول المصعد إلى الطابق السابع، حيث يوجد مقر مدير إدارة العمليات الخاصة الجديد .

وما لبث أن وصل إلى الممر المؤدى إلى حجرة اللواء (مراد)، حتى التقى بأحد زملائه قادمًا من ذات الحجرة، حيث ابتدره قائلًا :

ـ حمدًا لله على أنك قد حضرت .. فقد كنت فى طريقى للبحث عنك، والاتصال بك بناء على أوامر سيادة اللواء .

قال له (ممدوح) باستغراب :

ـ ولكنى لم أتأخر كثيرًا حتى أكون مثار بحث على هذا النحو . لقد انتهت إجازتى أمس وها أنا أحضر فى موعدى المعتاد .

همس له زميله، قائلًا :

ـ يبدو أن هناك مهمة جديدة فى انتظارك .

ابتسم (ممدوح)، قائلًا :

ـ ليت هذا يكون صحيحًا فأنا أخشى أن هذه الإجازة القصيرة، قد جعلتنى أعتاد الاسترخاء والكسل .

وما إن دخل حجرة السكرتارية الملحقة بغرفة اللواء (مراد) حتى أسرع سكرتيره الخاص بالاتصال به عبر جهاز (الدكتافون)، قائلًا :

ـ المقدم (ممدوح) حضر يا فندم .

سمع (ممدوح) صوت رئيسه يأتى من خلال سماعة الجهاز، قائلًا :

ـ دعه يدخل فورًا .

وما إن فتح (ممدوح) باب الحجرة، حتى وجد اللواء (مراد) واقفًا لدى مدخلها، فحياه قائلًا :

ـ صباح الخير يا فندم .

صافحه اللواء (مراد) قائلًا :

ـ صباح الخير يا (ممدوح) .. أرجو أن تكون قد استمتعت بإجازتك .

(ممدوح) :

ـ لقد قضيت وقتًا طيبًا بالفعل .. أشكرك يا فندم على هذه الإجازة .

تحرك اللواء (مراد) عائدًا إلى مكتبه، وهو يقول :



وما إن فتح (ممدوح) باب الحجرة ، حتى وجد اللواء (مراد) واقفًا لدى مدخلها ..

ـ لا شكر على واجب .. لقد كنت تستحقها بعد المجهود الذى بذلته فى القضاء على (ستافلوس) وعصابته .

دعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس، قائلًا :

ـ اجلس يا (ممدوح) .

جلس (ممدوح) كالمعتاد فى المقعد المواجه لمكتب رئيسه ، حيث نظر إليه بتمعن قبل أن يقول :

ـ هل أنت مستعد الآن لمهمة جديدة ؟

(ممدوح) :

ـ مستعد تمامًا يا فندم .

تراجع اللواء (مراد) فى مقعده، قائلًا :

ـ أعتقد أن لديك صديقًا يعمل طبيبًا فى إحدى الدول الإفريقية .

نظر إليه (ممدوح) بدهشة .. قائلًا :

ـ نعم .. الدكتور (صلاح) .. إنه يعمل فى أحد المستشفيات الحكومية فى دولة (جومايا) .. ولكن ما علاقة ذلك بالمهمة التى تنوى سيادتك أن تكلفنى إيَّاها ؟

اللواء (مراد) :

ـ هل تعرف ما يدور فى (جومايا) الآن ؟

قال (ممدوح) وقد بدأ يتسرب إليه شىء من القلق :

ـ كنت قد بدأت أسمع وأقرأ عن وجود بعض القلاقل هناك، قبل سفرى إلى (اليونان) .

اللواء (مراد) :

ـ لقد تطورت الأمور هناك تطورًا خطيرًا، خلال سفرك لأداء مهمتك، وأصبحت (جومايا) الآن ميدانًا لحرب أهلية دامية، بين فريقين يتنازعان السلطة فى تلك الدولـة، أحدهما بقيادة الجنرال (بوكا) والآخر بقيادة الكولونيل (شومبا) .. وقد مات الآلاف بسبب هذه الحرب الطاحنة .

هب (ممدوح) واقفا، وهو يقول :

ـ هل حدث شىء للدكتور (صلاح) ؟

دعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس مرة أخرى، قائلًا :

ـ لا داعى للانفعال .. المعلومات التى وصلتنا خلال الأسابيع الماضية، من سفارتنا هناك، أكدت أنه ما زال حيًا .

ولكن إزاء تطور الأحداث واشتداد المعارك، اضطررنا إلى إخلاء السفارة المصرية فى (جومايا)، وإعادة البعثة الدبلوماسية ـ وعلـى رأسها السفير المصرى ـ إلى (القاهرة) .

وانقطعت وسائلنا للاتصال بالمستشفى التى يعمل به .. لكن الأنباء التى وصلتنا من بعض المصادر هناك، أكدت أن المعارك قد امتدت إلى المنطقة التى يعمل بها .. وأنهم بدءوا فى إجلاء المرضى والأطباء والممرضين من ذلك المستشفى إلى جهه غير معلومة، على مراحل متعددة .

(ممدوح) :

ـ والدكتور (صلاح) ؟

اللواء (مراد) :

ـ كما قلت لك .. لا معلومات لدينا بشأنه .. لقد عرض سفيرنـا هنـاك عليـه مساعدتـه فى العودة، ومغادرة (جومايا) شأنه شأن بقية الرعايا من المصريين .. لكنه رفض وأصر على ممارسة عمله ، وأداء رسالته تجاه المرضى والمصابين هناك ..وفى الحقيقة .. فإننـا كنا سنواجه صعوبة شديدة، فى إخراجه من المكان الذى يعمل به، حتى فى حالة موافقته على ذلك .. لأن المستشفى يقع بين مناطق دغلية موحشة يصعب الوصول إليها بالوسائل العادية .. خاصة فى ظل هذه الحرب الأهلية التى تقسم البلاد إلى قسمين .

إن معظم الأطباء والممرضين الأجانب الذين كانـوا يعملون، عادوا إلى بلادهم بعد أن تم تهريبهم عبر الحدود المجاورة، ومن بينهم أطباء مصريون أوفدتهم الحكومة المصريـة، كمـا أوفـدت الدكتـور (صلاح) للعـمل فى (جومايا) .. وقد أخبرنا بعضهم، أن الدكتور (صلاح) ما زال محتجزًا فى المستشفى بأوامر من الكولونـيل (شومبا)، لعلاج بعض الجرحى من جنوده .. برغم الخطر الذى يتعرض له المستشفى نتيجـة المعارك والقصف المتبادل .

وصمت برهة قبل أن يستطرد :

ـ إننى فى العادة لا أحبذ تكليف أحد من ضباط الإدارة بعمليات بها بعض الجوانب الشخصية .. لأننى أخشى من تأثير العواطف فى هذه الحالة .

ومع ذلك فإننى لا أجد من هو أكفأ منك للقيام بهذه المهمة .

فإذا وافقت .. يمكننا تدبير وسيلة لك للذهاب إلى (جومايا) والعمل على إنقاذ الدكتور (صلاح) من ذلك الجحيم المشتعل هناك، وإعادته إلى (مصر) .

قال (ممدوح) متوسلًا :

ـ أرجوك أن تسند إلىّ هذه المهمة يا سيادة اللواء .

نظر إليه اللواء (مراد) متفحصًا قبل أن يقول :

ـ لكن عليك أن تعرف، أن الموقف فى هذه البلاد فى غاية الخطورة .. إن المعارك تشتعل فى كل أرجاء (جومايا) .. ولم تعد لنا بعثة دبلوماسية هناك أو وسيلة اتصال يمكننا أن نتعامل معك من خلالها .

(ممدوح) :

ـ أعرف كل ذلك .. ومع ذلك فإننى مستعد لتحمل كل جوانب المخاطرة فى هذه العملية، من أجل إنقاذ الدكتور (صلاح) وإعادته إلى (مصر) .

اللواء (مراد) :

ـ حسن .. ستسافر إلى (كينيا) ومن هناك سندبر لك وسيلة للتسلل إلى (جومايا) .. وعلى كل حال، مازال لنا بعض النفوذ هناك بوساطة بعض الأصدقاء من السودانيين، الذين لم يغادروا (جومايا) بعد، ويمكنك الاستعانة بهم لمساندتك فى مهمتك .

نهض (ممدوح)، قائلًا :

ـ وأنا جاهز للسفر منذ هذه اللحظة .

وكان هذا يعنى بداية مغامرة جديدة .

وخطر جديد .

★ ★ ★



٦ - الكرة السحرية ..

كان (كوكوف) قد بدأ يسترد صحته، بعد أن تحسنت حالة ذراعه من الإصابة التى لحقت بها .. بفضل العناية الطبية التى أولاها إياه الدكتور (صلاح) .

وكان يتعين عليه مغادرة المستشفى خلال اليومين القادمين، إن لم يكن بسبب شفائه وأوامر الدكتور (صلاح) .. فبسبب أن وجوده فى المستشفى خلال الأيام القادمة أصبح يشكل خطرًا كبيرًا عليه .

إذ إن قوات الكولونيل (شومبا) كانت تستعد لاتخاذ تحصيناتها داخل المستشفى، وإخضاعه للقيادة العسكرية التابعة للكولونيل .. وإذا ما تبين لهذه القوات وجود أحد جنود المرتزقة، من العاملين فى جيش الجنرال (بوكا) .. فإن ذلك كفيل بإنزال عقاب صارم على الدكتور (صلاح)، وعلى من تبقى معه من العاملين فى المستشفى، فضلًا عن سلخ (كوكوف) حيًا .

لذا فإن بقاءه فى هذا المستشفى، أصبح يشكل تهديدًا كبيرًا بالنسبة له، يستدعى بالفعل سرعة مغادرته له .. وإن كان يجهل حتى هذه اللحظة، الجهة التى يتعين عليه الذهاب إليها بعد خروجه من المستشفى .. خاصة وقد أصبح بلا نقود ولا سلاح .. وفى منطقة نفوذ العدو الذى يقاتله .

وقد أجهد (كوكوف) عقله فى التفكير فى هذا الأمر، وهو راقد فى سريره، دون أن يعثر على حل حقيقى لمشكلته .

وأخيرًا ألقى نظرة على الرجل الأسود النائم فى السرير المجاور له، وقد بدأ النوم يداعب عينيه، حتى أنه لم يجد بدًا من الاستسلام لسلطانه .

وراح (كوكوف) فى نوم عميق، استيقظ منه فى هلع، على وخز فى جانبه الأيمن، كانت الحجرة شبه مظلمة .. لذا لم يستطع أن يتبين للوهلة الأولى، شبح ذلك الرجل الذى عمد إلى إيقاظه .. وكادت أن تفلت منه صيحة، لولا أن سارع ذلك الرجل بوضع يده على فمه، وهو يهمس، قائلًا :

- لا تحدث صوتًا .. إننى (فرانك) .

هتف (كوكوف) همسًا :

- (فرانك) ؟!

(فرانك) :
- نعم .. لقد تسللت إلى المستشفى تحت جنح الظلام، حتى استطعت الوصول إلى حجرتك .
قال (كوكوف) باستياء :
- ما الذى أتى بك ؟ ما الذى جعلك تتذكرنى، بعد أن خذلتنى وهربت منى، فى وقت كنت فى أمس الحاجة إليك ؟
(فرانك) :
- أنا لم أهرب .
(كوكوف) :
- لم تهرب ؟.. إذن بماذا تسمى تهديدك لى بتركى جريحًا ومعرضًا للموت فى تلك الأدغال الموحشة ؟.. وبماذا تسمى فرارك من القرية بعد أن تركتنى بين أيدى أولئك البدائيين المتوحشين ؟
(فرانك) :
- لا تنس أننى أنقذتك من الموت، بين أنياب ذلك الفهد الذى هاجمك فى الأدغال، ثم إننى لم أتركك، إلا بعد أن ساعدت ذلك الطبيب المصرى فى مدواتك، وتأكدت أنه سيعمل على نقلك إلى المستشفى، لكى تنال العناية اللائقة .

(كوكوف) :
- ولكن لماذا هربت ؟
(فرانك) :
- وما الذى كان يدعونى إلى البقاء ؟.. لقد كنت فى حاجة إلى هذا السلاح الذى جردونا منه .. فهو سبيل الأمان الوحيد لنا فى هذه المنطقة، التى تعج بالمخاطر، ولو عرفوا أننى استعدته .. فأنت تعرف كيف يفكر أولئك المتوحشون .. إنهم لم يكونوا ليتورعوا عن تمزيقى إربًا .
بدا (كوكوف) متشككًا فى كلام زميله .. لكن (فرانك) استطرد، قائلًا :
- ثم إننى كنت أعرف أننى سأعود، لألتقى بك مرة أخرى .. ولقد تحملت فى سبيل ذلك العديد من المخاطر، حتى تمكنت من الحضور إليك هنا فى المستشفى .
كان يتعين عليك أن تشكرنى، وتقدر ما فعلته من أجلك، لا أن تلقانى بكل هذا الجحود .
قال (كوكوف) وقد احتفظ بشكه فى زميله :
- (فرانك) .. إننى أعرفك جيدًا .. إن أمثالك لا يقيمون وزنًا لعهد أو صداقة، ولم تكن لتكلف نفسك بالحضور إلى هنا، لو لم يكن لك هدف من وراء ذلك، فقل لى سريعًا .. ما الذى جاء بك إلى هذا المستشفى ؟

لم يكشف الظلام ابتسامة (فرانك)، وهو يقول :

ـ برغم أنك تسىء إلى صداقتنا بهذا الكلام .. إلا أننى سأخبرك بالسبب الذى دعانى إلى المجىء إلى هنا .

لقد جئت لأجعلك واحدًا من أغنى أغنياء العالم .

قال (كوكوف) بغضب :

ـ ألا تكف عن هذه السخرية قليلًا وتحادثنى بشىء من الجدية ؟

قال (فرانك) بلهجة رصينة :

ـ هذا هو ما أفعله بالفعل الآن .. إننى أحادثك بمنتهى الجدية .. لقد وضع القدر فى طريقنا فرصة نادرة، لكى نصبح أنا وأنت من أغنى أغنياء العالم .

قال (كوكوف) ساخرًا هذه المرة :

ـ لماذا ؟ هل وقعت على منجم ذهب فى هذه البلاد ؟

(فرانك) :

ـ بل منجم ماس .

(كوكوف) :

ـ ما هذا الهراء ؟

(فرانك) :

ـ إنها الحقيقة .. فى تلك الليلة التى قضيناها فى الكوخ، تمكنت من التسلل إلى الخارج .. ولمحت أفراد هذه القبيلة، وقد بدوا كما لو كانوا يقيمون إحدى حفلاتهم البدائية .

ولكن ما رأيته، كان أعجب وأغرب من أى شىء آخر رأيته فى حياتى .. لقد رأيت ساحرهم يحمل بين يديه كرة عجيبة، لم أستطع أن أحدد مادتها الخام .. وإن كانت تبدو وكأنها خليط من الكريستال والرخام .

وقد أخذ ذلك الساحر يردّد بعض الكلمات غير المفهومة، ثم حرّك الكرة من منتصفها، فبدت كما لو كانت قد انشقت نصفين .. وما لبثت أن انبعثت منها نار شديدة .

ثم خمدت النيران .. ورأيته يلقى فى داخلها ببعض القطع من الفحم الأسود .. وبعد برهة وجدت هذا الفحم، وقد تحول إلى كتل من الماس، أخرجها الساحر من داخل الكرة النارية .

هل فهمت ؟.. إن أولئك البدائيين يملكون كرة سحرية بالفعل، يتحول فيها الفحم إلى ماس .. تصور لو تمكنا من الاستيلاء على هذه الكرة، إننا سنصبح ملوك الماس فى العالم .

نظر إليه (كوكوف) كما لو كان ينظر إلى شخص فاقد العقل .. ثم ما لبث أن قال :

ـ يبدو أنك قد تعرضت لحمى أو لشىء من هذا القبيل، فى تلك الأدغال الموحشة .

(فرانك) :

ـ ماذا تعنى ؟

(كوكوف) :

ـ أعنى أنك تهذى .

(فرانك) :

ـ معك حق .. إنك لا تصدقنى .. أنا أيضًا لم أصدق ذلك الذى رأته عيناى للوهلة الأولى .

وتناول من جيبه قطعة من الماس أمسكها بين أصابعه ، فأخذت تلمع فى الظلام أمام عينى (كوكوف) ، وهو يقول :

ـ وحتى بعد أن تمكنت من الحصول على إحدى هذه الماسات .. ظللت لفترة من الوقت غير مصدق ذلك الذى رأته عيناى .

(كوكوف) :

ـ كيف حصلت على هذه القطعة من الماس ؟

(فرانك) :

ـ كما قلت لك ، من كرتهم السحرية .. (كوكوف) يجب أن تصدقنى .. إننى لا أعرف كيف يحولون هذا الفحم إلى ماس فى تلك الكرة .. ولكن هذا الشىء حدث أمام عينى بالفعل .

وصمت (كوكوف) برهة وهو ما زال غير مقتنع .. ثم قال :

ـ وإذا افترضنا أننى صدقتك .. ما المطلوب منى أن أفعله ؟

(فرانك) :

ـ أن تساعدنى فى الاستيلاء على هذه الكرة .. وبعدها نهرب من هذه البلاد اللعينة .. لننعم بعدها بحياة أصحاب الملايين .

(كوكوف) :

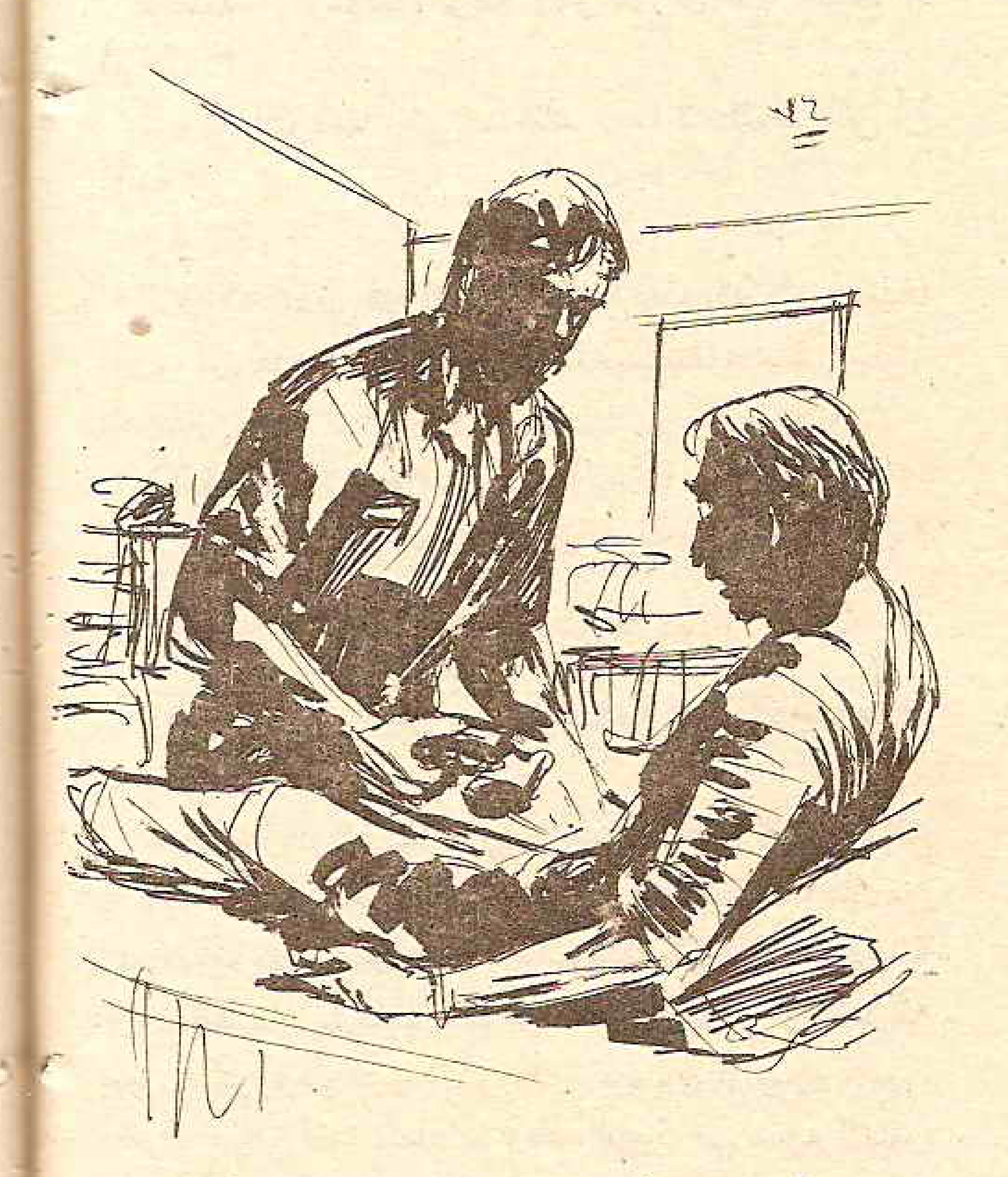
ـ هل تريد منا أن نتصدى لتلك القبيلة من المتوحشين ؟

(فرانك) :

ـ ولم لا .. خذ ها هو ذا مسدسك .

وأخرج مسدسًا من جيبه ، ليقدمه إلى (كوكوف) ، مستطردًا :

ـ ها نحن أولاء قد استرددنا أسلحتنا .. ولقد جئنا إلى هذه البلاد كجنود مرتزقة ، لنقاتل فى سبيل بضعة آلاف من الدولارات ، معرضين بذلك حياتنا للموت .. وأنا أرى أنه من الأفضل أن نعرضها للموت لقاء ثمن أكبر .. وأعتقد أنه ليس هناك ما هو أكبر من أن يكون تحت يديك منجم ماس ، تغترف منه وقتما تشاء .. وهذه الكرة هى منجم الماس الذى يستحق المخاطرة من أجله .



وأخرج مسدسًا من جيبه ، ليقدمه إلى (كوكوف) ..

(كوكوف) :

ـ برغم أننى ما زلت متشككًا فى قصتك هذه .. وأرى أنها أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة ، فإنك لم تقل لى بعد .. ما هو دورى فى خطتك للاستيلاء على هذه الكرة المزعومة ؟

(فرانك) :

ـ دور محدّد بالمقارنة بما سوف أفعله .. إن الشخص الوحيد الذى له اتصال بهذه القبيلة .. ويستطيع أن يتحدث إليهم بلغتهم ، ويكسب ثقتهم ، هو ذلك الطبيب المصرى الذى عالجك .

(كوكوف) :

ـ أتقصد الدكتور (صلاح) .

(فرانك) :

ـ نعم .. إننى بحاجة إلى هذا الرجل .. لكى يساعدنى فى مساومتهم على هذه الكرة السحرية .

(كوكوف) :

ـ ولتفرض أنه رفض ؟

(فرانك) :

ـ سأجبره على الذهاب معى تحت تهديد السلاح .

(كوكوف) :

ـ ولكنك لا تعرف لغتهم .. ولا تعرف أى حديث سيديره ذلك الرجل معهم، لنفرض أنه كشف لهم أمرك وحرضهم عليك ؟

(فرانك) :

ـ لقد وضعت هذا فى حسبانى .. وهنا يأتى دورك .. الدكتور (صلاح) من نوع ذلك البشر الذين يؤمنون بالواجب الإنسانى، ويضعه فوق أى اعتبار آخر .. وهذا ما دفعه إلى المخاطرة بالبقاء هنا، بجوار مرضاه، برغم كل ما يحيط بالمكان وبالمستشفى من خطر .

لذا فإننا إذا جمعنا كل هؤلاء المرضى فى مكان واحد، وأصبحوا تحت تهديد سلاحك، فإنه سيحرص على أن يؤدى عمله معى بأمانة تامة .. وإلا عرض حياة هؤلاء المرضى للموت، إذا ما خالف التعليمات .

(كوكوف) :

ـ أى أنك تريد أن تجعل من تبقى هنا، من مرضى وجرحى، بمثابة رهائن حتى تتمكن من الحصول على تلك الكرة .

(فرانك) :

ـ نعم .. وهذا هو الدور الذى أحتاج منك أن تؤديه، حتى ننجح فى تنفيذ خطتنا .

(كوكوف) :

ـ ولكن ما أدراك أنهم سيستجيبون لرغبتك فى الحصول على هذه الكرة، برغم أنها ثروتهم الحقيقية ؟

(فرانك) :

ـ لا أعتقد أن أولئك البدائيين، يقدرون قيمة الثروة التى يضعون أيديهم عليها حق تقديرها .. وأنا على كل حال سأقدم لهم عرضًا مناسبًا .

وفى حالة ما إذا رفضوا هذا العرض .. فلا مناص من اللجوء إلى وسائل أخرى، أو إلى بعض الطرق العنيفة .. المهم أننى سأحصل على هذه الكرة بأى ثمن .

(كوكوف) :

ـ لا أعتقد أنه من الصواب أن أزج بنفسى معك فى هذا الأمر .. من أجل قصة لا يتقبلها العقل .

(فرانك) :

ـ يمكنك أن ترفض .. ولكن تأكد من أن ما قلته لك حقيقى، وأننى لا أهذى .. وتأكد أيضًا أن الفرصة لا تأتى للمرء سوى مرة واحدة .. وهأنذا قد عرضت عليك فرصة عمرك، لكى تتوقف عن المخاطرة بحياتك لحساب هذا وذاك، والتنقل من بلد لآخر لكى تعيش حياة المعسكرات وجحيم المعارك .

إننى أعرض عليك أن تعيش حياة رغدة ومترفة، حتى نهاية العمر .. ولن يكلفك الأمر سوى أن تبقى هنا، شاهرًا سلاحك فى وجه مجموعة من المرضى .

ولم يفكر (كوكوف) كثيرًا هذه المرة .. بل قال :

- حسن .. إننى موافق .

وفى تلك اللحظة فتح باب الغرفة، ودخلت الممرضة حاملة معها علبة الحقن، وعندما لاحظت وجود (فرانك) تساءلت، قائلة :

- من هنا ؟

وهمس (فرانك) لـ (كوكوف) وهو يبرز سلاحه :

- لقد بدأت عمليتنا .

وكان يعنى ما يقول ..

★ ★ ★



٧ - حدود الخطر ..

نظر الرجل الأسود إلى (ممدوح) بدهشة، قائلًا :

- تريد الذهاب إلى (جومايا) عبر الحدود الكينية ؟

قال (ممدوح) بهدوء :

- نعم .. لذا فأنا أحتاج إلى سيارتك، ومهارتك فى اجتياز الطرق الوعرة، التى تؤدى إلى هناك .. وسوف أدفع بسخاء مقابل ذلك .

قال الرجل :

- ولكنهم يأتون فارين من هناك بالآلاف، خلال الأسابيع الأخيرة .. إن الحرب الأهلية حولت الحياة فى (جومايا) إلى جحيم .. ولدينا هنا عشرات المعسكرات للاجئين من مواطنى (جومايا) .. وأنت تريد الذهاب إلى هناك ؟

(ممدوح) :

- قلت لك سأدفع بسخاء .

قال له الرجل :

- إننى لا أتحدث عن سخائك .. ولكن هذا جنون .

ابتسم (ممدوح)، قائلًا :

- إذن يمكنك أن تعتبرنى مجنونًا سخيًا .. فما رأيك ؟.. هل ستجتاز بى الحدود ؟

قال الرجل مترددًا :

- ولكنى أعرض نفسى بذلك للموت معك .

(ممدوح) :

- الأمر لا ينطوى على مخاطرة كبيرة إلى هذا الحد .. فالحدود مفتوحة أمام اللاجئين .. وأنا أعرف أن لك علاقات طيبة مع بعض الأشخاص هناك، فضلا عن أن لك تاريخًا لا بأس به فى تهريب الأسلحة والمخدرات، والمحكوم عليهم بالسجن والإعدام عبر هذه الحدود .

حدق الرجل فى (ممدوح) بنظرات مرتابة، وهو يقول :

- وكيف تسنى لك أن تعرف كل هذا ؟

(ممدوح) :

- ألم أقل لك إن لك شهرة واسعة .. وقد دلنى بعض عملائك عليك ؟

فلا داعى للمساومة والتحدث عن المخاطرة بحياتك ما دمت سأدفع لك أجرًا طيبًا .

وجد الرجل أنه لا جدوى من المساومة مع (ممدوح) فقال له :

- حسن .. ألفا دولار .. لقاء مساعدتك على اجتياز الحدود .

(ممدوح) :

- ألف وخمسمائة .. أعتقد أن هذا مبلغ مناسب .

اعترض الرجل، قائلًا :

- ولكن ...

ولكن (ممدوح) أمسك بذراعه ليصحبه إلى السيارة، وهو يقاطعه قائلًا :

- قلت لك إننى لا أحب المساومة .. وتأكد أنك لن تجد زبونًا مثلى يدفع لك كل هذا المبلغ فى الفترة الحالية .. خاصة إذا كان زبونًا مجنونًا يريد الذهاب إلى الجحيم كما تقول .

اعتلى الرجل كابينة القيادة وقد امتثل لإرادة (ممدوح) .. وكان فى قرارة نفسه سعيدًا بهذا المبلغ، الذى لم يكن ليتسنى له الحصول عليه، وسط الكساد الذى أحدثته الحرب الأهلية فى (جوممايا) فى الآونة الأخيرة .

وجلس (ممدوح) فى المقعد المجاور وقد أنزل حرف القبعة التى يضعها على رأسه فوق عينيه وقد أغمضهما .

وانطلقت السيارة بالرجلين، فى طريقها لاجتياز الحدود إلى (جومايا) وحاول الرجل أن يسأل (ممدوح)، عن السبب الذى يحدو به إلى السفر لـ (جومايا)، برغم الظروف والأحداث التى تمر بها .. لكن (ممدوح) قال له :

ـ نسيت أن أقول لك إن العقد المبرم بيننا ، يتضمن أن تغلق فمك طوال الطريق ، وأن تمتنع عن إلقاء الأسئلة ، وإلا خفضت الثمن المتفق عليه إلى النصف .

انصاع الرجل إلى رغبة (ممدوح) ولم يحاول أن يفتح فمه بكلمة أخرى طوال الطريق ، حتى أشار أحد الجنود للسيارة فى أثناء عبورها نقطة الحدود فتوقفت أمام المتاريس الخشبية للتفتيش .

واقترب ضابط صغير ومعه أحد الجنود لفحص السيارة والتأكد من هوية راكبيها لكن سائقها بادره قائلًا وهو يلوح له ببعض العملات الورقية :

ـ أهلًا (لوجو) لدى ضيف يريد أن ينتحر فى بلادكم الملتهبة .

نظر الضابط إلى النقود فى يد الرجل ، ثم إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ هل يحمل معه أوراق سفر ؟

أضاف السائق عملة ورقية أخرى إلى العملات التى يحملها فى يده ، قائلًا :

ـ اعتبر أنك قد اطلعت على أوراق سفره .

نظر الضابط خلفه فى قلق ، قائلًا :

ـ لقد عينوا قائدًا جديدًا لنقطة الحدود .. وهو رجل صعب المراس .

ـ أضاف السائق عملة ورقية أخرى ، قائلًا :

ـ حسن .. إننى لن أضيف دولارًا واحدًا إلى ذلك ، وعليك أن تسوى أمورك مع قائدك .

تناول الضابط النقود فى سرعة وهو يدسها فى جيبه قائلًا :

ـ وأنت عليك أن تخبرنى فى المستقبل عن ضيوفك هؤلاء ، قبل أن تأتى بهم إلى هنا .. هيًا مرّ .

وأمر الجندى برفع المتاريس الخشبية ، ليسمح للسيارة بالمرور .

ولكن ما إن اجتازت السيارة نقطة المرور بعدة أمتار ، حتى غادر قائد نقطة الحدود كوخه الخشبى ، وهو يشير للسيارة بالتوقف .

وقال السائق لـ (ممدوح) :

ـ أعتقد أننا نواجه مأزقًا .

قال (ممدوح) بلهجة حاسمة :

ـ لا تأبه له وواصل سيرك .

قال له السائق مترددًا :

ـ ولكن ...

(ممدوح) :

ـ أتفضل الاستسلام لأولئك الأوغاد .. أم تقبض نقودك ؟

قال له السائق وهو يزيد من سرعة السيارة :

ـ إننى أفضل النقود بالطبع .

وأشار قائد نقطة الحدود لجنوده، فأطلقوا رصاص بنادقهم على السيارة، وهتف سائق السيارة قائلًا :

ـ اللعنة .. لقد أصابوا إطارات السيارة برصاصهم .

وتوقفت السيارة على مسافة عدة أمتار من نقطة الحدود، حيث سارع (ممدوح) بحمل أمتعته ومغادرتها بعد أن ألقى للرجل بنقوده، قائلًا :

ـ ها هى ذى نقودك .. فقد أديت عملك بأمانة .

وانطلق (ممدوح) يركض فى أحد الطرق الدغلية، وقد تناهى إلى سمعه صوت صرخة السائق، الذى يبدو أنه قد أصيب بإحدى رصاصات جنود الحدود، ثم ما لبث أن شعر بالخطر وقد أصبح وشيكًا أن يحيط به، حيث أن إحدى سيارات الجيب، التى كانت تقل أربعة من جنود الحدود، انطلق هديرها خلفه .

وانطلقت الرصاصات فى إثر (ممدوح)، الذى وجد أنه لا فائدة من الفرار، ما دامت تلك السيارة تلاحقه .. فألقى بنفسه وسط حشائش السافانا العالية .. وتناول مسدسه .. حيث أطلق منه رصاصة أصابت أحد الجنود .

لكن مسدسه أصبح عاجزًا إزاء طلقات المدافع الآلية، التى انهمرت بالقرب منه، والتى أطلقها عليه جنود الحدود .

وفجأة وجد (ممدوح) شخصين يبرزان فجأة من بين حشائش السافانا العالية، وهما يشهران مدفعين آليين، من نفس الطراز الذى يحمله الجنود، وقد أحاطا بالسيارة من كلا الجانبين، وأخذا يطلقان نيران مدفعيهما على جنود السيارة فى سرعة وكثافة، فقضوا على كل من فيها من جنود .

وسارع أحدهما بمساعدة (ممدوح) على النهوض قائلًا :

ـ أعتقد أننا قد وصلنا فى الوقت المناسب ؟

سألهما (ممدوح) وآثار الدهشة ما زالت باقية على وجهه :

ـ من أنتما ؟

أجابه الرجل الذى ساعده على النهوض :

ـ أقدم لك نفسى أنا (جعفر) وهذا صديقى (رشيد) إخوة لك من السودان، وكلمة السر المتفق عليها بيننا (تماسيح النيل) .

(ممدوح) :

ـ إذن فأنتما الشخصان المكلفان بالاتصال بى فى (جومايا) .



لكن مسدسه أصبح عاجزًا إزاء طلقات المدافع الآلية ، التى انهمرت بالقـرب منـه ..

أجابه (رشيد) ، قائلًا :

ـ نعم .

(ممدوح) :

ـ يجب أن أشكركما لانقاذكما حياتى .

(جعفر) :

ـ المهم أن نسرع بمغادرة المكان .. فقد يرسلون بآخرين للبحث عنك ، وسوف يزداد الأمر سوءًا لو عثروا على جثث هؤلاء الجنود ، وإن كان من حسن حظنا أنه قد أصبح لدينا الآن سيارة جيب تساعدنا على الابتعاد عن هنا .

أسرع (ممدوح) بركوب السيارة التى قادها (رشيد) قائلًا :

ـ أعتقد أننا سنواجه مشكلة عند العودة ، بعد ما ألحقناه بهم من خسائر .

أجابه (جعفر) :

ـ لا تقلق بهذا الشأن فلدينا مسالك أخرى لاجتياز الحدود ، لم يضعوا أيديهم عليها بعد ، وسوف نزودك بخريطة تحدد لك عدة طرق للهروب دون أن تقع فى أيديهم .. لو قدر لك أن تعود .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

- أراك متشائمًا .

(جعفر) :

- إن كل ما تقع عليه عيناى فى هذه البلاد .. يدعو إلى التشاؤم .. وبشدة .

★ ★ ★

فى تلك الأثناء، كان الدكتور (صلاح) يعارض بشدة ما يحاول (فرانك) أن يفرضه عليه، بشأن تفاوضه مع قبيلة (الكوكون) .

وقال له الدكتور معلنًا رفضه بعصبية :

- لا يمكننى المشاركة فى هذا الأمر .

قال (فرانك) بهدوء وهو يداعب بأصابعه زناد مدفعه :

- ليس لك خيار يا دكتور .. فلدينا هنا ثلاثة من المرضى وممرضة وممرض عدا طبيبًا زميلك .. وكل هؤلاء ستتعرض حياتهم للخطر، لو لم توافق على مساعدتى فى الحصول على هذه الكرة السحرية .

الدكتور (صلاح) :

- ولكنك تريد أن تخدعهم، وتعدهم بآمال كاذبة، فى مقابل الاستيلاء على هذا الشىء .. وأولئك القوم يثقون بى ..

وقال له (كوكوف) الذى كان شاهرًا مسدسه بدوره :

- هيًا يا دكتور (صلاح)، لا تضع الوقت ولا داعى لمثل هذه العواطف مع أولئك البدائيين .

نظر إليه الدكتور (صلاح)، قائلًا :

- كنت أظنك أكثر تقديرًا لى من زميلك، بعد أن ساعدتك على النجاة من الموت .

(كوكوف) :

- إننى أقدرك بالفعل .. لذا أرجو أن تجعل الأمور أكثر سهولة معك ومع الآخرين، ولا تضطرنا لاستخدام العنف .

الدكتور (صلاح) :

- وماذا لو أنهم رفضوا الاستجابة لى ؟

(فرانك) :

- عند ذلك سنضطر إلى استخدام وسائل أخرى .. ولكن اطمئن، سنقدر لك مساعدتنا، وسنحافظ على حياتك وحياة مرضاك .

الدكتور (صلاح) :

- هل تنويان اللجوء إلى العنف ؟

(فرانك) :

هذا ليس من شأنك .. والآن هيًا معى .. ودعنا لا نضيع الوقت أكثر من ذلك .

واصطحب (فرانك) الدكتور (صلاح) إلى خارج المستشفى، فى حين بقى (كوكوف) مع الآخرين .. وقد وضعهم تحت تهديد السلاح .

وبدأت مرحلة الخطر .

★ ★ ★



٨ - العبور إلى الموت ..

أوقف الطبيب سيارته لدى مدخل منطقة كثيفة الأشجار، قائلًا :

- سنواصل طريقنا سيرًا على الأقدام .. فالسيارة لا تصلح لاجتياز هذه المنطقة الدغلية .

قال (فرانك) وهو يتشبث بمدفعه الآلى :

- حسن .. ولكن تقدمنى .

اقتحم الرجلان المنطقة الدغلية ذات الأشجار الكثيفة المتشابكة .. وقد تقدم الدكتور (صلاح) الذى كان يعرف طريقه جيدًا، إلى موقع القبيلة، يتبعه (فرانك) شاهرًا سلاحه .. وقد أخذ يتلفت يميناً وشمالًا، وفقًا لطبيعته كجندى محترف للقتال .. وكأنه يتوقع عدوًا يهاجمه فى أية لحظة .

وسأل (فرانك) الدكتور (صلاح)، قائلًا وهو يراقب مجموعة من القرود تتقافز فوق الأشجار :

- هل أنت واثق من أنك تعرف الطريق جيدًا ؟

وقبل أن يجيبه الدكتور (صلاح).. تراجع فجأة خطوتين إلى الوراء، وقد برزت له من بين الأشجار بعض الوجوه السوداء، التى بدت كما لو كانت أشباحًا هبطت من السماء فجأة، وقد تسلحوا بسهامهم وحرابهم .

وكان ردّ الفعل الأول لدى (فرانك)، هو أن تشبث بسلاحه فى قوة..

ولكن الدكتور (صلاح).. قال له بهدوء :

- كن هادئًا .. ولا داعى لأى تصرف عصبى ، فأولئك الأشخاص لا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم كما قلت لك من قبل .

وتحدث إليهم الدكتور (صلاح) بلغتهم.. وبعد أن تبادل معهم بعض العبارات، التفت إلى (فرانك) قائلًا وقد بدءوا يتحركون :

- هيًا سنسير معهم إلى مكان القبيلة.. لقد وجدت صعوبة فى إقناعهم بأن تبقى محتفظًا بسلاحك .

(فرانك) :

- هل أخبرتهم بأننى أرغب فى التحدث إلى زعيمهم ؟

الدكتور (صلاح) :

- نعم.. ألا ترى أنهم يصطحبوننا إليه الآن ؟

بدا زعيم القبيلة غاضبًا وهو يتطلع إلى (فرانك).. فقد تذكر أنه الرجل الذى هرب منه بعد أن خدر اثنين من رجال قبيلته .

وأخذ يزمجر ببعض الكلمات .. فى حين عمد الدكتور (صلاح) إلى تهدئته .

وسأله (فرانك) ، قائلًا :

- ماذا يقول ذلك الهمجى ؟

أجابه الدكتور (صلاح) ، قائلًا :

- إنه يقول إنك رجل تستحق الموت، وإنه لولا حضورى معك لسلخك حيًا .

قال (فرانك) :

- قل له أن يتوقف عن ترديد هذه الخزعبلات .. وأننى جئت لكى أقدم له عرضًا محددًا، وهو مساعدته على الانتقال بقبيلته إلى مكان آمن ، بالقرب من الحدود، بعيدًا عن المعارك التى ستمتد إلى الأدغال، والتى رأى بعضًا منها، وتعرض رجاله لبعض من نيرانها .. وأن العسكريين لو جاءوا إلى البقعة التى يقيمون فيها، فسوف يبيدونهم جميعًا.. ولن يبقوا على طفل أو امرأة من أفراد القبيلة . وأن الوحيد الذى يستطيع مساعدتهم على النجاة من هذا المصير المحتوم ، هو أنا .

همّ الدكتور (صلاح) بنقل ما قاله (فرانك) إلى زعيم القبيلة بلغته، ولكن (فرانك) استوقفه، قائلًا :

- حذار أن تقول شيئاً غير ما قلته، أو أن تزيد أو تنقص كلمة واحدة عما قلته .

وتحدث الدكتور (صلاح) إلى الزعيم بما قاله (فرانك) .. ثم استمع إلى ما قاله لينقله إلى (فرانك)، قائلًا :

ـ إنه يسألك ، ما هو المقابل لتقديمك هذه المساعدة له ولقبيلته ؟

(فرانك) :

ـ قل له .. إننى لا أريد سوى شىء واحد ، وهو كرتهم السحرية .

نقل الدكتور (صلاح) إلى الزعيم ما قاله (فرانك) .. حيث ترك ذلك أثرًا سريعًا على وجه زعيم القبيلة، الذى أربدّ واستشاط غضبًا، وقد أخذ يلوح بقبضته فى وجه الرجلين، فى حين بدا الدكتور (صلاح) وهو يردد بعض الكلمات وكأنه يحاول تهدئته .

واضطرب (فرانك) لدى رؤيته لزعيم القبيلة، وهو يتصرف بهذا الانفعال والغضب، فسأل الدكتور (صلاح) قائلًا :

ـ ماذا تقول له؟

الدكتور (صلاح) :

ـ إننى أحاول تهدئته .. فذلك الشىء الذى طلبته منه .. جعله ثائرًا للغاية .. إنه يظن أننى أنا الذى أطلعتك على سرّ الكرة السحرية .. ولما أخبرته أننى لا علم لى بهذا الأمر، طلب منى أن أعرف كيف عرفت هذا السرّ الذى تختص به القبيلة ؟

(فرانك) :

ـ قل له إنه لايهم كيف عرفت الأمر .. المهم أننى أريد هذه الكرة مقابل مساعدتهم على الفرار من الإبادة التى تنتظرهم ؟

الدكتور (صلاح) :

ـ أعتقد أنه يتعين علينا أن نتوقف عند ذلك الحد .. فقد أثار ذلك الطلب ثائرة الزعيم وغضبه، وكما أرى فإن بقية أفراد القبيلة يبدون قلقين ومتحفزين، لرؤيتهم زعيمهم على هذا النحو، ومعرفتهم بأنك قد اطلعت على سرهم ، الذى يحرصون على إخفائه عن الآخرين .

(فرانك)

ـ إنك لن تعرّفنى متى أتوقف .. ستقول له ما طلبته منك .. يجب أن تعرفه، وأن يفهم الآخرون، أن ثورته هذه لن تفيد بشىء .. كما أنهم لن يفيدوا شيئًا أيضًا من هذه الكرة، التى يحتفظون بها، لو أطلق الجنرال (بوكا) العنان لقواته المتقدمة، كى تحصدهم بنيران أسلحتها .. قل له إن مصيرهم يتوقف على مساعدتى لهم.

عاد الدكتور (صلاح) لينقل ما قاله (فرانك) إلى زعيم القبيلة .. الذى بدا عليه أنه قد هدأ قليلًا .. ثم أخذ يتحدث إلى الدكتور (صلاح) بدوره .

وقال الدكتور (صلاح) لـ (فرانك) :

ـ إنه يقول : إنهم يستعينون بتلك الماسات ، التى يحصلون عليها من (كرة النار) فى دفع الخطر عنهم.. فهم يقدمونها إلى بعض الضباط والجنود من العسكريين، لكى لا يهاجموا قريتهم.. وإن هذا قد منع الخطر عنهم حتى الآن.. برغم بعض رجالهم الذين فقدوهم فى الأدغال، وقتلوا على أيدى هؤلاء العسكريين .

(فرانك) :

ـ أخبره أن هؤلاء الجنود، لن يكتفوا بما يقدمه إليهم من ماسات .. وأنهم سيطمعون بدورهم فى المزيد من الماس ؛ وسيحاولون اكتشاف الطريقة التى تحصلون بها عليه .. لذا لن يتورعوا عن مهاجمتهم والتنكيل بهم، خاصة جنود الجنرال (بوكا) ، الذى يعتقد أنهم يناصرون قوات (شومبا) ، والذى ينوى حرق الأدغال بمن فيها .. وإننى الوحيد الذى يمكننى أن أقدم لهم الأمان الذى ينشدونه .

ثم عقد حاجبيه فى صرامة، مضيفًا :

ـ وهذا عرضى الوحيد .. والأخير .

★ ★ ★

جلس (ممدوح) يتدارس خريطة المنطقة مع (جعفر) و (رشيد) حيث قال لهما :

ـ واضح أنها منطقة محفوفة بالمخاطر.. فالأحراش الكثيفة تحيط بالمكان وهناك نهر صغير يفصل بين المنطقة التى نقف عليها، والخاضعة لسيطرة الجنرال (بوكا).. وبين المنطقة التى يوجد فيها المستشفى، والخاضعة لسيطرة الكولونيل (شومبا).

أجابه (رشيد)، قائلًا :

ـ نعم هذا النهر الصغير هو الفاصل بين الفريقين المتحاربين.. وإن كان الأمر لا يمنع من تسلل بعض الوحدات العسكرية، من كلا الجانبين، لمهاجمة مواقع فى المناطق الخاضعة للطرف الآخر.. هذا فضلًا عن طلقات المدفعية، والقواذف الصاروخية التى يتبادلانها فى قتالهم .

(ممدوح) :

ـ وماذا عن القنطرة التى تربط بين المنطقتين ؟

(جعفر) :

ـ لقد دمرت خلال المعارك .. وهم يهاجم بعضهم البعض الآن، بوساطة الزوارق العسكرية، التى يعبرون بها النهر خلال الظلام، والتى تتحرك فى ظروف صعبة

للغاية، تؤدى إلى موت العديد من الجنود الذين يستخدمونها.. كما أن اجتياز الأحراش فى حد ذاته مشكلة كبرى.. فهناك جنود وقناصة ينتشرون بين الأشجار على أطراف الحدود الفاصلة بين الطرفين.

(ممدوح) :

- وماذا عن استخدام طائرة هليكوبتر ؟

(رشيد) :

- إنها فكرة مستحيلة بالطبع فى ظل المعارك الدائرة.. فضلا عن صعوبة الحصول على طائرة هليكوبتر فى دولة مثل (جومايا)، وفى ظل الأجواء الحالية.. فإن مجرد التفكير فى استخدامها لعبور الجهة الأخرى من النهر، يعرضها للتدمير بوساطة طلقات المدفعية، التى تتصيد أية طائرة تحاول العبور إلى المنطقة التابعة لسيطرة أحد الفريقين المتحاربين.

(ممدوح) :

- إذن.. فإن محاولة العبور إلى المنطقة التى يقع فيها المستشفى، ستعد محاولة انتحارية غير مأمونة على الإطلاق.

(جعفر) :

- لا أخفى عليك، هذه هى الحقيقة بالفعل.

ابتسم (ممدوح)، قائلًا :

- حسن.. أنا من هواة المحاولات الانتحارية.. قل لى.. ما أخبار سير المعارك حتى الآن فى (جومايا) ؟

(جعفر) :

- أعتقد أن الأمور تسير لصالح الجنرال (بوكا).. فقد تمكنت قواته من احتلال بعض المواقع القريبة من النهر، فى الأراضى التابعة لـ (شومبا).

وقد بدأت قوات (شومبا) فى التقهقر إلى الخلف حتى أننى سمعت أنهم ينوون استخدام المستشفى الوحيد الذى يخدم المنطقة كثكنة عسكرية، لمواجهة قوات الجنرال (بوكا).

(ممدوح) :

- هل يمكنك تحديد أحد المواقع التى يحتلونها على هذه الخريطة ؟

أشار له (جعفر) إلى أحد المواقع، قائلًا :

- هنا.. إنها هذه المنطقة المتاخمة للنهر.

(ممدوح) :

- إذن فلابد أنهم قد أقاموا جسرًا لنقل العتاد والمؤن والجنود إلى الموقع الذى يحتلونه.

(جعفر) :

- لا أعرف.

(ممدوح) :

ـ هذا أمر منطقى بالنسبة للتكتيك العسكرى .

(جعفر) :

وعلى فرض أنهم قد أقاموا الجسر .. فبماذا يفيدك ذلك ؟

(ممدوح) :

ـ إنه سيسهل عبورنا إلى تلك الأراضى التى يقع فيها المستشفى .

(رشيد) :

ـ وكيف ستعبر مثل هذا الجسر ، فى ظل وجود قوات (بوكا) التى لابد أنها قد أقامت عليه وحوله التحصينات اللازمة .. وأولئك الجنود يستخدمونه فى تحركاتهم ؟

(ممدوح) :

ـ عندما نصل هناك سأخبرك .

(جعفر) :

ـ ولكن المخاطرة جسيمة .

(ممدوح) :

ـ لابد من المخاطرة .. ولكنى أعتقد أننى سأكون بحاجة إلى استخدام اللون الأسود ، فى صبغ وجهى ويدىّ ، حتى لا أبدو مختلفًا كثيرًا فى بشرتى عن بشرة سكان هذه البلاد ، وعليكما تدبير هذا الأمر .. كما أننا سنكون بحاجة إلى بعض الملابس العسكرية أيضًا .

هتف (رشيد) :

ـ الملابس العسكرية ؟!.. يبدو أنك ستقتحم العملية من أوسع أبوابها .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ـ نعم ، وأكثرها وضوحًا .

وأضاف (جعفر) :

ـ وخطورة .

ولم يعد هناك ما يقال .

★ ★ ★



٩ ـ ألعاب خطرة ..

كمن (ممدوح) ومعه (جعفر) بين الأشجار الكثيفة المتشابكة، والتى تقع على مسافة عشرة أمتار من النهر، الفاصل بين القوات المتحاربة فى (جومايا)، حيث أخذ (ممدوح) يرقب الجسر الصغير، الممتد فوق النهر، والذى تستخدمه قوات (بوكا)، فى العبور إلى المنطقة التى تسيطر عليها قوات الكولونيل (شومبا).

كان هناك ثلاثة مدافع، تم نصبها فوق الجسر لحمايته، أحدها مدفع مخصص للتعامل مع الطائرات التى تحاول أن تحلق فوقه.. وكان هناك ثلاثة جنود حول كل مدفع لتأمينه.. كما كان هناك كشاف ضوئى كبير، يتم تحريكه فوق مياه النهر لكشف أى حركة تدور فيه.

وعدا عربة جيب صغيرة، اجتازت الجسر وبها بضعة جنود.. فلم يلحظ (ممدوح) وجود أى نشاط غير عادى.

ونظر (ممدوح) فى ساعته الفوسفورية قائلًا، وقد صبغ بشرته باللون الأسود:

ـ لقد بقيت ساعة واحدة على بزوغ الفجر.. أعتقد أن (رشيد) قد تأخر علينا قليلًا.

(جعفر):

ـ ربما أنه فى الطريق إلينا.

(ممدوح):

إن جزءًا كبيراً من نجاح عمليتنا، يتوقف على الاستعانة بالظلام لتنفيذها.. وإذا لم يأت (رشيد) خلال نصف ساعة من الآن، فسنضطر إلى تأجيلها لليوم التالى.

(جعفر):

ها هو ذا قد جاء.

وأقبل (رشيد) وهو يلهث متخفيًا فى الظلام.. حيث اندس بجوار (ممدوح) و (جعفر) راقدًا على الأرض، وسط الأشجار المتشابكة، والحشائش العالية قائلًا، وهو يقدم لهما لفافة من الثياب كان يحملها فى يده!

ـ آسف.. إذا كنت قد تأخرت عليكما.. ولكنى بذلت جهدًا كبيرًا لكى أحصل على هذه الملابس العسكرية التى اضطررت لسرقتها.



ونظر (ممدوح) فى ساعته الفوسفورية قائلًا ، وقد صبغ بشرته باللون الأسود :

ـ لقد بقيت ساعة واحدة على بزوغ الفجر ..

تناول (ممدوح) الثياب سريعًا ، قائلًا لـ (جعفر) :

ـ هيًا ، ارتد أنت ثياب الضابط ، وسأرتدى أنا ثياب الجندى .

وبعد أن انتهيا من ارتداء الملابس العسكرية ، تطلع (ممدوح) إلى (جعفر) على ضوء مصباح كهربائى صغير قائلًا :

ـ حسن .. إن من ينظرنا الآن ، سيظن أننا ننتمى إلى قوات الجنرال (بوكا) .

وأسرع (ممدوح) يفتح حقيبة جلدية أحضرها معه ليخرج منها ثياب الغوص الجلدية . قائلًا :

ـ والآن لنحمى ثيابنا العسكرية بملابس الغوص حتى نستطيع أن نعبر هذا النهر دون بلل .

وأطاع (جعفر) أوامر (ممدوح) على الفور ، حيث ارتدى كلٌ منهما بدلة غوص جلدية كاملة فوق الثياب العسكرية .. لا يظهر منها سوى وجهيهما .. وساعد لون الحلة السوداء على إخفائهما فى الظلام .

أما القبعات العسكرية فقد وضعاها فى كيس جلدى صغير مغلق بإحكام ، حمله (جعفر) فى يده .

وما إن انتهى (ممدوح) من تزويد بدلته بأنبوبة الأكسجين الصغيرة .. حتى التفت إلى (رشيد)، قائلًا :

ـ سيبدأ دورك بعد تحركنا مباشرة .. يجب أن تشغل أولئك الأشخاص على الطرف الآخر من النهر عنا .. وعن محاولتنا اجتياز النهر .

وتناول (ممدوح) حقيبة أخرى كان قد دسها بين الأشجار، حيث قام بفتحها أمام الرجلين اللذين نظرا إليها على ضوء المصباح الضوئى الخافت الذى يحملانه، وقد أطلت من عينيهما دهشة .

همس (جعفر)، قائلًا :

ـ ما هذا .. لُعَب أطفال ؟

كانت الحقيبة بالفعل ممتلئة بلعب أطفال على شكل معدات وأسلحة عسكرية، كتلك التى تباع فى محلات اللعب .

فقد كانت هناك ثلاث دبابات، وثلاث عربات مصفحة، وعشرات الصواريخ، وطائرات هليكوبتر وبعض الألعاب النارية فى أحجام صغيرة، لاتزيد على راحة اليد .

وابتسم (ممدوح)، قائلًا :

ـ نعم .. لعب أطفال .. ولكن غير مسموح للأطفال باستعمالها .. لأنها من النوع الخطر .

وتناول من داخل الحقيبة جهازًا إلكترونيًا للتحكم عن بعد (ريموت كونترول)، قائلًا :

ـ إن كل هذه اللعب الإلكترونية الصغيرة، يتم تحريكها والتحكم فيها بوساطة الأزرار الموجودة فى هذا الجهاز .

واستطرد، قائلًا لـ (رشيد) :

ـ إن ما أريده منك هو تحريك هذه الأجهزة نحو الجسر، وهى تتميز بأنها لاتحدث صوتًا فى أثناء حركتها؛ لذا فإنها لن تثير الانتباه، خاصة مع صغر حجمها واختفائها فى هذا الظلام .

وفى اللحظة المناسبة، ستضغط على هذا الزرّ الأحمر فى جهاز التحكم الإلكترونى .

نظر إليه (رشيد) وأمارات التعجب واضحة على وجهه، وهو يقول :

ـ وماذا بعد أن أضغط على هذا الزرّ الأحمر ؟

(ممدوح) :

ـ ستبدأ هذه الألعاب فى أداء عملها وإحداث أصوات مشابهة تمامًا لما تحدثه الأسلحة الحقيقية .. فالدبابات ستطلق طلقات من مدافعها مشابهة لطلقات مدافع

الدبابات الحقيقية.. وكذلك طائرات الهليكوبتر التى ستحلق على مسافة قريبة فوق الكوبرى وفوق المنطقة المواجهة لنا ، ستلقى ببعض القنابل الملونة الصغيرة الحجم، ولكنها تحدث أصواتًا مفزعة كأصوات القنابل الحقيقية، أما الصواريخ، فستأخذ طريقها إلى الجهة المقابلة من الجسر، وتحدث نفس الأثر، هذا عدا بعض الألعاب الضوئية الكافية لإضفاء مظهر هجوم حقيقى بكافة الأسلحة . وهذا كفيل بجذب انتباههم وتشتيتهم على نحو يوفر لنا عبور النهر فى هدوء دون أن يلحظونا .. هل فهمت ؟

أومأ (رشيد) بإشارة من رأسه، قائلًا :

ـ نعم .

التفت (ممدوح) إلى (جعفر)، قائلًا :

ـ حسن.. والآن هيًا بنا لنتحرك .

قال له (جعفر) :

ـ وماذا عن هذين الجنديين الرابضين على ضفة النهر أمامنا ؟

قال (ممدوح) وهو يضم قبضته :

ـ لا أعتقد أننا سنجد صعوبة كبيرة فى التعامل معهما .

وزحف الاثنان فوق الحشائش فى خفة ومهارة ، فى حين بقى (رشيد) كامنًا فى مكانه .. وهو يستعد لتجهيز آلاته الإلكترونية الصغيرة .

وفجأة انقض كل منهما على أحد الجنديين .. حيث سارع (ممدوح) بتسديد ثلاث لكمات متتالية وقوية إلى فك الجندى الذى انقض عليه ، جعلته يغيب عن الوعى ..

بينما نجح الجندى الذى انقض عليه (جعفر) من الخلف ، فى التخلص من ساعد غريمه .. ثم سارع بإلقائه على الأرض مصوبًا بندقيته فى اتجاهه، وكانت طلقة واحدة كافية لإفساد خطة (ممدوح) وجذب الانتباه إليه هو ومن معه .

لذا قرر التدخل سريعًا .. ووثب نحو الجندى قبل أن يطلق رصاص بندقيته، محيطًا خصره بكلتا ذراعيه ليسقطه أرضًا ، وقد سقطت منه البندقية أسفل بطنه .

وقبض (ممدوح) على شعره من الخلف رافعًا رأسه إلى أعلى.. ثم دفع بها فى قوة لتصطدم مقدمة رأسه بماسورة البندقية المعدنية .

وقبل أن يفيق الرجل من عنف اصطدام رأسه بالبندقية، أداره (ممدوح) على ظهره .. ثم عاجله بلكمة فولاذية، أنهت مقاومته وجعلته يغيب عن الوعى لاحقًا بزميله .

واعتدل (جعفر)، قائلًا :

- أشكرك على إنقاذك لحياتى .

(ممدوح) :

- ألق بالبنادق فى الماء .. فلا نريد أية أصوات خلفنا فى أثناء السباحة عدا أصوات تلك الألعاب الإلكترونية .

أطاع (جعفر) الأمر فى الحال .. فتناول أسلحة الجنديين وألقى بها فى الماء، فى حين غاص (ممدوح) فى النهر .. ثم مالبث أن لحق به رفيقه ، وبدأ (رشيد) بدوره فى تنفيذ الدور المطلوب منه .. فقد استخدم جهاز التحكم عن بعد فى تحريك الألعاب الإلكترونية المصغرة .

وبدأت الدبابات فى التحرك تجاه الجسر تليها العربات المصفحة .. وكذا طائرات الهليكوبتر الصغيرة التى حلقت دون صوت فى اتجاه الجسر والجهة المقابلة من النهر، وكذلك الصواريخ التى استقرت فى وضع مائل كما لو كانت صواريخ حقيقية عند حافة النهر .

وكانت الدبابات والعربات المصفحة الصغيرة، وقد بدأت تتحرك فوق الجسر المعدنى، بحيث بدا الأمر كما لو كان غزوًا حقيقيًا .

وما لبث أن ضغط على الزر الأحمر فى جهاز التحكم فانطلقت أصوات الطلقات والصواريخ والألعاب الضوئية .

وأصيب الجنود على الجهة الأخرى من النهر بالهلع، وبدءوا يطلقون نيران أسلحتهم بطريقة عشوائية، وقد هيأت لهم تلك الأصوات والصواريخ الضوئية الأمر كما لو كانوا مقبلين على معركة كبرى .

وفى أثناء ذلك كان (ممدوح) و (جعفر) يسبحان تحت الماء بسرعة وحماس .. حتى تمكنوا أخيرًا من الوصول إلى الطرف الآخر من النهر، فى منطقة كثيفة الأشجار، وما إن صعد (ممدوح) إلى الشاطئ، حتى ألقى نظرة سريعة من خلال الأشجار الكثيفة، فرأى مجموعة من الجنود يحتلون موقعًا صغيرًا بالقرب من المنطقة الدغلية، التى وصلوا إليها، وقد أصيبوا بحالة من الهلع والاضطراب، بسبب أصوات تلك الطلقات والانفجارات، التى تدوى فى المناطق القريبة منهم .

واحتمى (ممدوح) و (جعفر) بالأشجار الكثيفة، لكى تخفيهما عن العيون، ثم قاما بنزع حلتى الغوص عن جسديهما ليبدوان تحتها بثيابهما العسكرية .

وكان (جعفر) مرتديًا حلة ضابط ذى رتبة كبيرة .. مما جعله يستغل ذلك فى التأثير فى أفراد الموقع العسكرى من الجنود، حيث اقترب منهم وخلفه (ممدوح) .

وما إن رآه الجنود حتى هبوا واقفين له فى احترام، وقد تخلصوا سريعًا من حالة الاضطراب والارتباك التى أصابتهم، بسبب أصوات المعارك الوهمية .

وصاح (جعفر) فيهم بصوت قوى، قائلًا :

- أما زلتم هنا .. لماذا لم تنضموا إلى زملائكم فى الدفاع عن الجسر ؟

قال أحدهم متلعثمًا :

- ولكن يافندم .. الأوامر الصادرة إلينا ..

قاطعه (جعفر)، قائلًا :

- أنا الذى يصدر الأوامر .. تحركوا سريعًا ودافعوا عن الجسر مع الآخرين .

هرول الجنود سريعًا وهم يحملون أسلحتهم، للحاق بزملائهم، فى حين كتم (جعفر) ضحكة احتبست فى حلقه، وهو يراهم مضطربين على هذا النحو .

وابتسم (ممدوح) وهو يراقبهم، قائلًا :

- لقد أديت دورك ببراعة .

قال (جعفر) وهو يتخلص من ملابسه العسكرية !

- لو وقعت فى يد الجنرال (بوكا) الآن .. فلن يتنازل عن إعدامك .. فقد سببت له الكثير من المتاعب منذ عبورك الحدود، ودخولك إلى (جومايا) وهو لديه من المتاعب ما يكفيه .

قال (ممدوح) :

- وقد جاء دورى فى التعامل مع الكولونيل (شومبا) .. ما دمت فى منطقته الآن .

(جعفر) :

- ليس الكولونيل (شومبا) وجنوده فقط .. فأمامك منطقة دغلية كثيفة تمتلئ بالحيوانات المتوحشة .. ورجال القبائل الذين أثارتهم هذه الحرب ، فأصبحوا يقتلون كل ما يقع بين أيديهم .

(ممدوح) :

- المهم أن نعثر على الدكتور(صلاح) وسط هذا الخضم من المخاطر والأهوال، لنعمل على إنقاذه .

(جعفر) :

- المهم الآن أن تتخلص من ثيابك العسكرية هذه سريعًا، وتعمل على إخفائها .. فهذه ثياب جنود الجنرال

(بوكا)، ولو لمحك أحد من جنود (شومبا) وأنت ترتدى هذه الثياب، فلن يتردد فى إطلاق النار عليك، دون أن يحاول حتى أن يطرح عليك أى سؤال .

تخلص (ممدوح) من الثياب العسكرية، وبدأ فى اجتياز الأدغال بصحبة (جعفر) .. حيث بدأ بزوغ الفجر، وتأهبت خيوط الليل السوداء للرحيل .

وفتح الجحيم أبوابه .

★ ★ ★



١٠ ـ تحالف الشيطان ..

كان (كوكوف) قد احتجز المرضى الثلاثة، والطبيب، والممرضة فى حجرة لها نافذة واحدة، ذات قضبان معدنية، بعد أن أوصد بابها عليهم .. واختار لنفسه حجرة مواجهة لها، فتح بابها على مصراعيه، وتمدد فوق الفراش المقابل للغرفة الموصدة وقد احتفظ بمسدسه بجواره .

وكان قد هدّد الجميع بإطلاق الرصاص على أول شخص، يحاول إحداث صوت، أو تصدر عنه صيحة استغاثة .. ولو أن ذلك لم يكن يجدى فى شىء .. فلم يكن هناك فى المستشفى أحد سواه، وتلك المجموعة من الأسرى .

كما أن المنطقة المحيطة به كانت بعيدة عن العمران، ويلفها السكون من كل جانب؛ لذا لم تكن الصيحات ولا صرخات الإغاثة لتجدى بشىء .

وأحس (كوكوف) بأنه يتعين عليه بالرغم من ذلك الاطمئنان على ما يجرى داخل الغرفة .. بعد أن أجبر الممرضة على نقل كل ما يحتاجون إليه من طعام وشراب من مطبخ المستشفى، إلى الغرفة المحتجزين فيها .. كى لايضطر أحدهم إلى مغادرة الحجرة أو طلب شىء من الخارج .

وفتح (كوكوف) باب الحجرة، ومسدسه فى يده قائلًا :

ـ هل تحتاجون لشىء ؟

قال له الطبيب :

ـ نعم أحد المرضى هنا، بحاجة لبعض المحاليل الطبية بصورة عاجلة، بعد أن تدهورت حالته الصحية .. وأرى أن ننقله إلى غرفة العناية المركزة .

(كوكوف) .

ـ لا أعتقد أن الأمر يستدعى ذلك .. عليك أن ترعى مريضك وفقًا للإمكانات المتاحة الآن .

(الطبيب) :

ـ ولكن فى ذلك خطورة بالغة عليه .. إنه بحاجة ماسة لهذه المحاليل .

صمت (كوكوف) برهة وهو يفكر .. ثم قال :

ـ حسن .. يمكنك أن تذكر هذه المحاليل المطلوبة للممرِّضة، وسوف أصحبها معى لإحضارها هنا حيث تتولى الأمر بنفسك .

(الطبيب) :

ـ ولكن ...

قاطعه (كوكوف) :

ـ هذا أقصى ما أستطيع أن أسمح به .

وتشاور الطبيب مع الممرضة، فيما يتعين عليها أن تحضره من محاليل طبية، ولكن فجأة انقض ذلك الرجل الأسود الذى كان يرقد فى السرير المجاور لـ (كوكوف) فى المستشفى، قبل أن يحضر إليه (فرانك) انقض على الممرضة فى حركة مباغتة، وجاءت هذه الحركة المباغتة على نحو جعل (كوكوف) يتوتر، وهو يصوّب مسدسه فى اتجاهه، قائلًا بصوت محذر :

ـ قف مكانك وإياك أن تتحرك حركة أخرى .

ولكن الرجل قال وكان قد أولاه ظهره :

ـ هل يمكننى أن أستدير ؟.

(كوكوف) :

ـ ببطء وارفع يديك عاليًا .

أطاع الرجل (كوكوف) حيث رفع يديه، وقد ضم كلتا قبضتيه .

وما إن أصبح فى مواجهة (كوكوف)، حتى فرد إحدى قبضتيه فسقط منها محقن بلاستيكى ممتلئ بمادة سائلة على الأرض .

ونظر (كوكوف) إلى المحقن بدهشة .. ثم إليه قائلًا :

ـ ماهذا ؟

أجابه الرجل، قائلًا :

ـ محقن به مادة مخدرة كان ينوى ذلك الطبيب استخدامها ضدك، وحقنك بها بطريقة مباغتة فى أثناء ذهابك معه لإحضار المحاليل، وقد اتفق معنا على ذلك متحملًا المخاطرة ..

ولكن عندما رفضت ذهابه، أراد أن تقوم الممرضة التى ستصحبك بهذا الأمر، فتظاهر بالتشاور معها على إحضار المحاليل المطلوبة، ودسّ فى يدها هذا المحقن الذى انتزعته من يدها .

صاح الطبيب قائلًا :

ـ وغد .. خائن .

ونظر إليه الآخرون نظرات تنم عن الغضب والاحتقار .

وصاح (كوكوف) فى الطبيب بدوره، قائلًا :

ـ اصمت .

ثم التفت إليه قائلًا :

ـ ولماذا فعلت ذلك برغم أنه كان سيكفل لك الحرية والهرب ؟

وأجابه الرجل، قائلًا :

ـ وما جدوى الحرية لجندى هارب، بلا نقود ولا مأوى ، وقد برأ لتوه من إصابة جسيمة ؟. إننى إذا ما غادرت هذا المستشفى ، فسوف أموت إما رميًا بالرصاص، أو بين أنياب وحوش الغابة، أو جوعًا .. وعلى أحسن الفروض سأبقى مطاردًا دائمًا .

(كوكوف) :

ـ هل تحاول أن تفهمنى أنك تفضل أن تكون محتجزًا فى هذه الغرفة تحت تهديد مسدسى، عن مغادرة المستشفى لمواجهة مصير مجهول ؟ لذا قررت أن تحمينى من المخدر ؟

قال له الرجل :

ـ ولدى سبب آخر .

(كوكوف) :

ـ وما هو ؟

قال الرجل :

ـ مستر (كوكوف) .. هل يمكننا أن نتحدث معًا فى مكان آخر ؟

(كوكوف) :

ـ ولماذا لا نتحدث هنا ؟

أجابه الرجل، قائلًا :

ـ لأنى أريد محادثتك فى أمر سرى وخاص .. ولكن تأكد أنه سيكون فى صالحك .

ولما لاحظ التردد على وجه (كوكوف)، قال له :

ـ لو كنت أريد الإضرار بك .. لما أنقذتك من تلك الحقنة المخدرة، ثم إن معك سلاحك .. فلا يوجد ما تخشاه من جانبى .

(كوكوف) :

ـ حسن .. تعال معى .

اصطحبه (كوكوف) إلى الخارج بعد أن أوصد باب الغرفة على مجموعة الأسرى الذين يحتجزهم .

وعندما أصبح والرجل بمفردهما .. قال له :

ـ والآن .. قل ما عندك .

قال الرجل :

ـ أولًا اسمح لى أن أعرفك بنفسى، إننى أدعى (زوكو) .. وقد أتاحت لى الظروف أن أستمع إلى حديث صديقك، عندما حضر إليك فى المستشفى ليحادثك بأمر الكرة السحرية، أو كرة النار، كما يطلق عليها أفراد قبيلة

(الكوكون) .. فلم أكن نائمًا، وسمعت كل حرف قاله صديقك لأن لى حاسة سمع قوية .

(كوكوف) :

ـ حسن .. وماذا بعد ؟

قال (زوكو) بلهجة ساخرة .

ـ اسمح لى يا مستر (كوكوف) أن أتهمك بالسذاجة .

احتقن وجه (كوكوف) وقد تحرك أصبعه على الزناد قائلًا بغضب :

ـ ماذا ؟ هل تجرؤ أيها الزنجى على أن تنعتنى بالسذاجة ؟

(زوكو) :

ـ استمع أولًا قبل أن تطلق العنان لغضبك .. قل لى ماذا تفعل فى هذا المستشفى ؟

ولم ينتظر منه إجابة .. بل استطرد قائلًا :

ـ تحتجز مجموعة من المرضى فى انتظار عودة صديقك إليك ومعه (كرة النار) لتقتسما معًا ماساتها النفيسة .. أتظن أن صديقك لو تمكن من الاستيلاء على هذه الكرة، سيعود إليك بها حقًا لتشاركه اقتسام ما بها من ثروة ؟.. إنك لو ظننت ذلك تكون ساذجًا حقًا .

بدأ القلق يظهر واضحًا على وجه (كوكوف)، كرد فعل لما قاله ذلك الزنجى .. فهو يعرف (فرانك) جيدًا .. وهو ليس بالشخص الذى يحفظ عهدًا أو يلتزم باتفاق ..

إنه بحسب خبرته فى التعامل معه إنسان جشع طماع، ولا يكن تقديرًا كبيرًا لكلمة الصداقة .

وأردف (زوكو) قائلًا وهو يراقب القلق على وجه (كوكوف) :

ـ لقد استغلك صديقك وتركك تؤدى دورًا لصالحه فى هذا المستشفى، ليستخدمك فى التأثير على الدكتور (صلاح) وتهديده بأنك ستقتل مرضاه .

ولكنى أؤكد لك أنه بمجرد حصوله على هذه الكرة، فسوف يفرّ بها خارج حدود هذه البلاد، دون أن يأبه بك أو بأى شخص آخر، خاصة وقد سمعت فى أثناء حديثك معه، أنه حاول التخلى عنك من قبل .. فأراد أن يتركك جريحًا فى الأدغال .. ثم تركك بين أيدى رجال قبائل (الكوكون) وفرّ هاربًا .

وشخص كهذا لن يفكر فى العودة إليك .. ولن يسمح لك بأن تقاسمه ثروات هذه الكرة .

وربما إذا فكر فى العودة إلى هنا .. فسيفكر فى ذلك لأمر واحد وهو قتلك والتخلص منك، لكى يخفى معك سر هذه الكرة إلى الأبد .

بدا (كوكوف) قلقًا لما قاله الرجل .. فرد عليه قائلًا :

ـ لا تحاول أن تزرع هذه الأفكار الشيطانية فى رأسى أيها الزنجى .

(زوكو) :

ـ إننى لا أحاول أن أزرع شيئًا .. وكان يجب أن تفكر فى ذلك من قبل، وأنت أدرى الناس بصديقك .

(كوكوف) :

ـ وما مصلحتك فى أن تخبرنى بذلك ؟

(زوكو) :

ـ اسمع إننى أنتمى لقبيلة (البوشو)، وهى قبيلة كانت تجاور قبيلة (الكوكون) قبل أن تضطرها ظروف الحرب الأهلية إلى الهرب والتشتت فى هذه الأدغال .. خاصة وأن الجنرال (بوكا) نفسه ينتمى إليها، وهو ما دفع جنود (شومبا) إلى التنكيل بها .

وقد سمعت من أحد أفراد هذه القبيلة قبل رحيلى إلى المدينة، أن قبيلة (الكوكون) لديها كرة سحرية، يحصلون منها على قطع كبيرة من الزجاج الجميل، وهو تعبير ساذج من شخص بدائى بالطبع عن الماسات، وقد ظننت فى البداية أن ما يقوله ذلك الرجل من قبيل الخرافات .. خاصة أن الخرافات أمر شائع بين هذه القبائل .

ولكن عندما تحدث صديقك بأمر (كرة النار) وكشف لك عن إحدى الماسات التى حصل عليها منها، أيقنت أن الأمر حقيقى .. وأن هذه القبيلة تستخدم الفحم فى الحصول على ماسات حقيقية .

إننى أجيد التحدث بلغة (الكوكون)، وأعرف دروب هذه الأدغال ومجاهلها، كما أننى أحتفظ بسلاحى سليمًا ومدفونًا تحت الأرض، فى بقعة قريبة من هذا المستشفى.. فلو أردت، يمكننى أن أعاونك فى الحصول على (كرة النار)، واللحاق بزميلك قبل أن يستولى عليها لنفسه ويهرب بها، فى مقابل أن أكون شريكًا لك فى هذه الكرة، ولن أطالبك بنصيب الشريك الكامل، ولكن يكفينى الربع مما تحصل عليه منها كل مرة.. وسوف ندبر كيفية تنظيم ذلك الأمر .

(كوكوف) :

ـ ولكن كان يمكنك أن تفعل ذلك بمفردك ، بعد تخديرى بتلك الحقنة، وتستولى على الكرة لنفسك دون شريك .

(زوكو) :

ـ سأكون صريحًا معك.. إننى لن أستفيد من هذه الكرة شيئًا وأنا طريد فى هذه البلاد .. بل ستكون مصادر الخطر المحيطة بى أكبر، إذا ما تبين أننى أمتلك هذه الثروة بمفردى.. وربما اتحدت جهود جنود (بوكا) و (شومبا) وأفراد قبيلة (الكوكون) فى السعى ورائى من أجل هذه الكرة بالذات .

لذا فالحل الوحيد بالنسبة لى من أجل الاستفادة بخيرات هذه الكرة، هو أن أغادر هذه البلاد .. وقد علمت أن لديك خريطة وخطة الهرب عبر الحدود .. والفرار من (جومايا) .

إذن فالمصلحة مشتركة .. أنا أساعدك فى اجتياز الأدغال والوصول إلى مكان (الكوكون)، ثم الاستيلاء على الكرة والتصدى لزميلك ولرجال القبيلة .. فى مقابل أن تساعدنى على الهرب معك عبر حدود (جومايا) وأن تخصص لى نسبة من الثروة التى ستجلبها هذه الكرة .. هل اتفقنا ؟ .

فكر (كوكوف) برهة .. ثم قال وهو يمد له يده ليصافحه :

ـ اتفقنا .

صافحه (زوكو)، قائلًا :

ـ إذن .. فلنبدأ بالتحرك قبل أن ينجح زميلك فى الاستيلاء على الكرة .

سأله (كوكوف) :

ـ أتعتقد أنه سينجح فى ذلك ؟

(زوكو) :

أعتقد أنهم سيقتلونه .. وربما يقتلون الطبيب .. أيضًا .. فربما كان (الكوكون) لا يقدرون قيمة هذه الكرة التى بين أيديهم .. وينظرون إلى تلك الماسات النفيسة على أنها مجرد قطع من الزجاج، تدفع عنهم خطر أولئك الجنود الذين يجوبون الغابات من آن لآخر .. ولكنهم ينظرون إليها نظرة تقديس .. تجعل من المستحيل عليهم التفريط فيها بسهولة .

(كوكوف) :

ـ هذا يعنى أنهم ربما يقتلوننا نحن أيضًا ؟

(زوكو) :

ـ نعم .. لذا فإننا سنذهب إلى المكان الذى يخفون فيه هذه الكرة مباشرة .

(كوكوف) :

ـ هل تعرفه ؟

(زوكو) :

ـ نعم ولولا أننى لم أكن أصدق خرافة (كرة النار) هذه، لذهبت إليه من قبل .

(كوكوف) :

ـ ما داموا يعطون لهذه الكرة تلك الأهمية كما تقول، فهم بلا شك يقيمون حراسة قوية حولها .

(زوكو) :

ـ بالتأكيد .. وهذا يعنى أنه يتعين علينا أن نعد أنفسنا لمواجهة معهم، إننى أنا وأنت جنود مدربون .. لذا فإنه يتعين علينا أن نستفيد من عنصر التفوق الذى نملكه، وهو المفاجأة .. اتفقنا ؟

صمت (كوكوف) لحظة، ثم مد يده إليه، قائلًا :

ـ اتفقنا .

وتصافحا، معلنين تحالفهما .. تحالف الشيطان .

★ ★ ★



١١ ـ مواجهة الأشرار ..

فى أثناء ذلك كان (فرانك) ما زال مستمرًا فى محاولة إقناع زعيم القبيلة منحه (كرة النار)، مقابل مساعدته هو وقبيلته فى الفرار من نيران الحرب الأهلية، إلى بقعة آمنة، مستعينًا فى ذلك بالدكتور (صلاح) وبقى زعيم (الكوكون) لفترة من الوقت، رافضًا بإصرار الموافقة على تلك المساومة .

إلا أنه تشاور فى النهاية مع بعض أفراد القبيلة، وعاد إليهما ليقول :

ـ سنعرض الأمر على ساحر القبيلة .. فإذا وافق على التخلى عن الكرة، منحناها لكما، مقابل المساعدة التى ستقدمونها لنا، أما إذا رفض، فلن يكون هناك أى حديث آخر حول هذا الأمر .

نقل الدكتور (صلاح) ما قاله زعيم القبيلة إلى (فرانك) الذى قال :

ـ وأين ذلك الساحر ؟

ونقل له الدكتور (صلاح) إجابة الزعيم، قائلًا :

ـ إنه يقول إنه على مقربة من القرية فى جبل الشلالات .

(فرانك) :

ـ قل له .. إننا سنذهب معه للقاء الساحر .

ونقل الدكتور (صلاح) ما قاله (فرانك) إلى الزعيم، الذى حاول أن يعترض على ذلك، ولكن (فرانك) أصر بشدة على أن يرافقاه فى الذهاب إلى الساحر، فرضخ الزعيم فى النهاية وذهب ومعه أربعة من رجال القبيلة، وبصحبته (فرانك) و الدكتور (صلاح)، إلى حيث توجد بحيرة صغيرة على مقربة من موقع القبيلة .. ولما لم تكن البحيرة عميقة .. فقد اجتازوها سيرًا على الأقدام، وقد غطت المياه أفخاذهم فقط .. حتى وصلوا إلى كهف تنحدر أمامه المياه على هيئة شلال .

وتقدم الزعيم مجتازًا مياه الشلال إلى داخل الكهف، يتبعه أعوانه، ومعهما (فرانك) والدكتور (صلاح)، لمقابلة المسئول الأوَّل ..

ساحر القبيلة ..

★ ★ ★

وفى تلك اللحظة، كان (ممدوح) و (جعفر) يجتازون الأدغال، فى طريقهما إلى المستشفى، حيث حمل كلّ منهما سيفًا فى يده، لإزالة ما قد يعترضهما من أغصان وأعشاب طويلة .

وأراد (جعفر) أن يستريح قليلًا، وقد نال منه التعب، فاتكأ على جذع شجرة ضخمة قائلًا (لممدوح) :

ـ فلنسترح لبضع دقائق قليلة .. فأنا أكاد أسقط من شدة التعب .

قال (ممدوح) وهو يغرز سيفه فى جذع إحدى الأشجار، ثم يجلس القرفصاء :

ـ معك حق .. فلنحصل على قسط من الراحة .

وأراد (جعفر) الجلوس .. لكنه فجأة أحس بشىء يرفعه إلى أعلى، وما كاد يتبين حقيقة هذا الشىء حتى أطلق صرخة مدوية .

ونظر (ممدوح) فى اتجاه (جعفر)، وقد أحس ببرودة تسرى فى جسده .. إذ أنه رأى ثعبانًا ضخمًا لم ير له مثيلًا، وقد لف نفسه حول (جعفر)، على نحو يكاد يحطم به ضلوعه، وكان طول الثعبان يقارب الثلاثة أمتار ونصف، وقد برزت أنيابه المخيفة على نحو يثير القشعريرة .. فى انتظار أن يهشم ضحيته بالتفاف جسده اللولبى حوله بشده .. ثم يبدأ فى ابتلاعها .

وكان (جعفر) قد بدأ يحس بالفعل بالاختناق، وبأن جسده فى سبيله إلى التحطم، تحت ضغط التفاف الثعبان الضخم حوله .

فانتزع (ممدوح) سيفه من جذع الشجرة سريعًا .. وهو يندفع نحو الثعبان محاولًا إنقاذ رفيقه .

ولكن رأس الثعبان كان عاليًا على نحو لم يتمكن معه (ممدوح) من ضربه بسيفه .. وكانت أية محاولة منه لضرب أى جزء آخر من أجزاء جسمه، تنطوى على مخاطرة .. إذ ربّما جعلت الثعبان يسارع بالانقضاض بأنيابه القاتلة على (ممدوح) أو (جعفر) .

وبينما كان (ممدوح) يحاول تسلق الشجرة للوصول إلى رأس الثعبان، إذ به يجد نفسه وقد التف الثعبان حول جسده، فأصبح هو ورفيقه أسرى لهذه العضلات المرنة القوية .

وبدا وكأن الثعبان المخيف، وقد أدرك غرض (ممدوح) فزاد من ضغط جسمه على ساعده القابض على السيف مما جعله يتألم بشدة، وقد أحس بأن معصمه يكاد أن يتهشم .. وما لبث أن وجد نفسه مضطرًا إلى التخلى عن السيف الذى سقط من يده على الأرض.

ولم يعد لديه ما يواجه به هذا الثعبان الضخم، وقد تأهب للفتك بهما . واقترب الثعبان برأسه المخيف من (جعفر)، وذلك الفم المفتوح على أقصى اتساعه، بأنياب قاتلة، وقد بدا أنه ينوى البدء به . وكان (جعفر) فى طريقه لفقد وعيه .



وأطبق بيده على عنق الثعبان بكل ما لديه من قوة ، رافعًا رأسه إلى أعلى وهو يحاول خنقه ..

ولم يكن أمام (ممدوح) سوى أن يناضل بأقصى ما لديه من قوة ، وبالقدر الذى تسمح به الظروف .. فانتهز فرصة استعداد الثعبان للانقضاض على (جعفر)، وقد ركز اهتمامه عليه ، فى حين أصبحت رأس الثعبان على مسافة بضعة سنتيمترات من (ممدوح) وفى متناول قبضة يده اليسرى، وهى اليد الوحيدة التى لم يلتف عليها جسد الثعبان بعد .

وأطبق بيده على عنق الثعبان بكل ما لديه من قوة ، رافعًا رأسه إلى أعلى وهو يحاول خنقه .

وأخذ الثعبان يتلوى وهو يحرك جسده بعنف، محاولًا التخلص من قبضة (ممدوح)، ولكن هذا الأخير تشبث بعنقه فى قوة وتصميم تشبثه بالحياة .

وجذب (ممدوح) رأس الثعبان، وهو مازال ضاغطًا بأصابعه على عنقه ليهوى به أرضًا .. حيث أخذ الثعبان يتلوى يمينًا وشمالًا محاولًا انتزاع عنقه من هذه الأصابع، على نحو جعله يتخلى قليلًا عن ساعد (ممدوح) الأيمن .

وأتاح ذلك لـ (ممدوح) أن يلتقط السيف الذى سقط منه .. والذى كان على مسافة قريبة من يده .

وكان الثعبان قد تخلى عن (جعفر) ، ليتفرغ لمواجهته، وما لبث أن تمكن من أن يلف جسمه القوى حول ذراع (ممدوح) ، ويده القابضة على عنقه ، وقد شدد من الضغط

عليها، على نحو أجبره على أن يبعد أصابعه عن عنق الثعبان، وقد أحس بألم شديد، دفعه إلى الصراخ .

لقد كان الثعبان يصارع بكفاءة .. وعرف كيف يحرر عنقه من قبضة غريمه، وأصبح يتعين عليه أن يجهز على هذا الغريم .. فتحول إليه وهو يستعد لغرز أنيابه فى جسده لينهى الصراع .

ولكن (ممدوح) سارع باستخدام يده اليمنى فى تسديد ضربة قاتلة بسيفه إلى عنق الثعبان، أطاحت به من فوق جسده، وجعلته يرتطم بجذع الشجرة .

وظل جسد الثعبان ملتفًا حول (ممدوح) وهو يتلوى والدماء تتفجر من عنقه، فى حين كان (جعفر) قد استرد وعيه، وجلس على الأرض فاغرًا فاه وجاحظ العينين، وهو يرقب هذا المشهد الرهيب، دون أن يدرى ماذا يفعل ؟.. فقد جعله الخوف والرهبة مشلولًا عاجزًا عن الحركة .

ولم يقاوم الجسد طويلًا .. إذ سرعان ما بدأ يرتخى حول (ممدوح)، ثم خمدت حركته تمامًا، على نحو جعل (ممدوح) يتخلص منه ويلقى به بعيدًا .

ونظر (جعفر) إلى (ممدوح) غير مصدق، وهو يقول :

ـ لقد أنقذت حياتى للمرة الثانية .

تنفس (ممدوح) الصعداء .. ثم التفت إليه قائلًا :

ـ لقد كنت أدافع عن حياتى أنا الآخر .

(جعفر) :

ـ ولكن لولا تدخلك لقضى علىّ الثعبان وهشم عظامى .. سأبقى مدينًا لك طوال العمر .

(ممدوح) :

ـ دعنا الآن من الشكر والامتنان .. وهيًا بنا نواصل طريقنا .. فما زالت الصعاب أمامنا عديدة .

واستمرا فى السير بين أحراش الغابة الكثيفة .. وقد خاضا بأقدامهما أحد المستنقعات الموحلة .

وهتف (جعفر)، قائلًا لـ (ممدوح) :

ـ انتظر .. قف مكانك ولا تخط خطوة واحدة .

اندهش (ممدوح) لهذا التحذير المفاجئ.. ولكنه استجاب له.. وبقى ساكنًا فى مكانه.. فى حين تقدم (جعفر) نحوه ليجثو على ركبتيه، وهو يزيح بعضًا من أوراق الشجر العريضة، كاشفًا عن حفرة كبيرة، تكفى لسقوط رجل أو حيوان مفترس، وقد أحيطت فى منتصفها بالحراب المدببة .

وقال :

ـ كدت تسقط فى أحد فخاخ الحيوانات التى ينصبها الأهالى هنا . سقطة واحدة كانت كفيلة بأن تلقى معها حتفك ، لتستقر كل هذه الأطراف المدببة فى جسدك .

مسح (ممدوح) بساعده ذلك العرق الذى تصبب على جبينه ، قائلًا :

ـ أعتقد أنه جاء دورى لأشكرك لإنقاذك حياتى .. فلولا تنبهك لهذا الفخ ، لكنت الآن محمولًا على أسنة الرماح كما قلت .

ابتسم (جعفر) ، قائلًا :

إننا نعرف هذه الفخاخ ، ونكتشفها بحكم الخبرة ، وبالغريزة أحيانًا وعلى كل حال .. لقد قلت بنفسك إنه لا داعى الآن للشكر والامتنان .

وكانا قد قطعا مسيرة ساعة ونصف ، سيرًا على الأقدام بين الغابات ، وقد أنهكهما التعب .

وبعد عشرين دقيقة أخرى من السير المضنى ، توقف (جعفر) ليشير إلى مبنى صغير على مسافة عشرين مترًا قائلًا :

ـ هاهو ذا المستشفى .

عاد (ممدوح) ليمسح العرق المتصبب على جبينه قائلًا :

ـ أخيرًا

ووصل الرجلان إلى مبنى المستشفى الذى كان يخيم عليه السكون وقد بدا وكأنه مبنى مهجور .

لم تكن هناك إضاءة كافية بالداخل .. ولا أى مظهر من مظاهر الحركة أو الحياة .. لم يكن يوجد هناك سوى صمت مطبق .

وقال (جعفر) :

ـ يبدو أنه قد تم إخلاء المستشفى . كما كان مقررًا .

(ممدوح) :

ـ ولكن أين هم هؤلاء الجنود الذين كانوا ينوون احتلالها ؟

(جعفر) :

ـ ربما فى الطريق الآن إلى هنا .. وهذا يعنى أنه يحسن أن نسارع بالابتعاد نحن أيضًا قبل أن يأتوا .

(ممدوح) :

ـ وماذا عن الدكتور (صلاح) ؟

(جعفر) :

ـ لابد أنه انتقل مع الآخرين .

(ممدوح) :

- إلى أين ؟

(جعفر) :

- هذا ما سوف نعمل على اكتشافه فيما بعد .. أما الآن فمن الأفضل أن نبادر بمغادرة المستشفى .

قال (ممدوح) :

- انتظر .. يخيل إلى أننى قد سمعت صوتًا ما .

(جعفر) :

- ولكنى لم أسمع شيئًا ...

(ممدوح) :

- أؤكد لك أننى قد سمعت صوتًا .. يأتى من هذا الاتجاه

ونادى (ممدوح) بأعلى صوته .. قائلًا :

- هل يوجد أحد هنا ؟

وسمع (ممدوح) صوتًا يأتى من بعيد مجيبًا نداءه .. فقال (لجعفر) :

- هل سمعت ؟

قال (جعفر) الذى كان قد استمع لهذا الصوت أيضًا :

- نعم .. يبدو أن هذا صحيح .

وأشار (ممدوح) ، قائلًا :

- إن الصوت يأتى من الطابق الأول للمستشفى، فهيًا بنا إلى هناك .

واندفع (ممدوح) يرتقى فى درجات السلم ، المؤدى إلى الطابق الأول فى سرعة ، حيث كرر نداءه مرة أخرى .. وجاءه الصوت مجيبًا :

- إننا محبوسون هنا .

وصل (ممدوح) إلى الغرفة التى احتجز فيها (كوكوف) رهائنه ، وطرق بابها قائلًا :

- من بالداخل ؟

أجابه الطبيب :

- بعض العاملين بالمستشفى وعدد من المرضى .. لقد تم احتجازنا هنا كرهائن .. والباب مغلق من الخارج بإحكام .

قال (ممدوح) :

- ابتعدوا عن الباب .. سأعمل على تحطيمه .

واستخدم مسدسه فى تحطيم رتاج الباب من الخارج ، حيث تمكن بعد ذلك من فتحه وتحرير المحتجزين بالداخل .. ، والذين كانوا فى حالة يرثى لها .

بادر (ممدوح) بسؤال الطبيب ، قائلًا :

- أين الدكتور (صلاح) ؟

أجابه الطبيب :

ـ لقد اقتيد الدكتور (صلاح) تحت تهديد السلاح بوساطة أحد الجنود المرتزقة إلى الأدغال .

(ممدوح) :

لماذا ؟

أجابه الطبيب :

ـ لقد أجبر على الذهاب مع ذلك الرجل الى قبيلة (الكوكون).

هتف (جعفر)، قائلًا :

ـ (الكوكـــون) .. إنهـــم من أشرس القبـــائل فى (جومايا) .

سأل (ممدوح) الطبيب، وقد تملكه القلق قائلًا :

ـ هل يمكنك أن تشرح لى الأمر بالتفصيل ؟

تناول الطبيب جرعة ماء .. ثم أخذ يسرد على (ممدوح) تفاصيل ما حدث، منذ البداية إلى أن قال :

ـ لقد ترك الدكتور (صلاح) رسالة، شرح لى فيها الأمر، وأخبرنى بأن هذين الرجلين الأجنبيين، يسعيان وراء تلك الكرة السحرية، التى يقال إن قبيلة (الكوكون) تمتلكها، والمسماة (كرة النار)، وأنه مضطر للذهاب مع ذلك المدعو (فرانك)، وإلا ألحق زميله الأذى بنا .. بعد أن هدد بأنه سيعمل على قتلنا إذا لم يتعاون الدكتور (صلاح) معه .

(ممدوح) :

ـ ولكن أين ذلك المدعو (كوكوف) ؟

قالت الممرضة لـ (ممدوح) :

ـ لقد استمعت لحديثه مع (زوكو) .. حيث علمت بأنهما عقدا اتفاقًا، على أن يستوليا على الكرة السحرية لحسابهما، من قبائل (الكوكون) .

(ممدوح) :

ـ إذن لابد لنا من الذهاب إلى حيث توجد تلك القبيلة .. فلابد أن صراعًا رهيبًا سوف يدور هناك، حول تلك الكرة ذات القدرات السحرية المزعومة .

وأجاب الممرض الذى كان يستمع للحديث :

ـ إننى أعرف موقعهم وأستطيع أن أذهب بك إلى هناك .

(ممدوح) :

ـ حسن .. إذن دعنا لا نضع الوقت .. فحياة الدكتور (صلاح) مهددة فى وسط هذا الخضم من الصراع .

(جعفر) :

ـ وأنا مستعد للذهاب معك .

ولكن (ممدوح) اعترض قائلًا :

ـ كلّا .. إنك ستضطلع بمهمة أخرى، وهى أن تعمل على حماية هؤلاء الأشخاص هنا، ريثما أذهب للبحث عن الدكتور (صلاح) .

(جعفر) :

ـ ولكن .. مهمتى أن أشاركك فى البحث عن الدكتور (صلاح) .

(ممدوح) :

ـ مهمتك أن تعمل على إرشادنا إلى حدود آمنة ، إذا ما قدر لى النجاح فى إنقاذ الدكتور (صلاح) .. وسيضاف إليها عبء مساعدة هؤلاء البؤساء على الفرار أيضًا .. خاصة وقد أصبحوا بلا مأوى .. والأخطار محدقة بهم من كل جانب .

وسنكون جميعًا بحاجة إلى دليل ماهر مثلك، لمساعدتنا فى الوصول إلى بر الأمان .. وهى مهمة كما ترى عظيمة، وتحتاج إلى الحفاظ عليك هنا فى هذا المكان، وأن تعمل بدورك على الحفاظ على أرواح هؤلاء الأشخاص راجيًا أن تصلوا جميعًا من أجلنا .

ونظر إلى الممرض الذى عرض تقديم المساعدة، قائلًا :

ـ ما اسمك ؟

أجابه قائلًا :

ـ (شاتو) .

(ممدوح) :

ـ إذن .. هيًا بنا يا (شاتو) .. سننطلق نحن أيضًا خلف الهدف نفسه .

وصمت لحظة، ثم أضاف فى حزم :

ـ خلف كرة النار .

* * *



١٢ - وحش الأدغال ..

استشاط الساحر غضبًا، عندما أخبره زعيم القبيلة بمطلب (فرانك) .. حتى أنه أخذ يحرك يديه وقدميه، بطريقة تعبر عن هذا الغضب، لكن الزعيم حاول أن يقنعه، بأن هناك خطرًا حقيقيًا يهدّد القبيلة، من جانب القوات المتحاربة، لو لم يقدهم أحد إلى بقعة آمنة تجنبهم مخاطر الحرب الأهلية .. لذا فإنهم بحاجة إلى الاستعانة بـ (فرانك)، والاعتماد على معرفته بمكان هذه البقعة، لإنقاذهم من الموت الذى يهددهم .

وبعد فترة من الحوار والجدل بين الساحر وزعيم القبيلة، التفت زعيم القبيلة إلى الدكتور (صلاح) لينقل إليه نتيجة النقاش .

ونقل الدكتور (صلاح) بدوره إلى (فرانك) ما قاله زعيم القبيلة، قائلًا :

- الساحر يقول : إنه مستعد لمنحك بعض الماسات التى تفرزها هذه الكرة، فى مقابل مساعدة القبيلة فى الانتقال إلى مكان آمن، أما إعطاؤك الكرة نفسها، فهذا أمر مستحيل .. ولن يسمح به أبدًا .

فكر (فرانك) لبرهة من الوقت .. ثم قال للدكتور (صلاح) :

- قل له .. إننى موافق .. بشرط أن أرى الطريقة التى يحولون بها الفحم إلى ماس بوساطة كرة النار .

نقل الدكتور (صلاح) ما قاله (فرانك) للساحر، وعاد ليقول له على لسانه :

- إنه يرفض، ويقول إن هذا الأمر من أسرار القبيلة .

ولكن (فرانك) قال على لسان الطبيب :

- لن أقبل بأقل من ذلك .

وبعد فترة من النقاش والجدل مرة أخرى، بين الساحر وزعيم القبيلة، عاد الزعيم ليقول للدكتور (صلاح) :

- ولكن ماذا لو كان كاذبًا ؟

(فرانك) :

- قل لهم إننى سأقدم حياتى ثمنًا لذلك لو كنت كاذبًا .

نظر إليه الدكتور (صلاح) بدهشة .. إذ كان واثقًا من كذبه .. لكن (فرانك) عاد ليقول له بلهجة حاسمة :

- قل له .. ما سمعت .

ونقل إليه الدكتور (صلاح) إجابة (فرانك) .. حيث عاد الساحر للتشاور مع زعيم القبيلة .

ثم قال زعيم القبيلة :

- لقد وافق الساحر على إجراء التجربة أمامك، وتقديم الماسات التى تفرزها الكرة إليك .. مقابل مساعدتنا .

وعندئذ انفرجت أسارير (فرانك) .. فلم يكن يحتاج فى هذه اللحظة، سوى أن يرى تلك الكرة السحرية أمامه .

وفى أثناء ذلك كان (كوكوف) و (زوكو)، قد وصلا إلى المكان الذى تقيم فيه قبيلة (الكوكون) .. حيث بادر بعضهم باعتراضهم، وغرز عدد من الرماح أمامهم .

وبدت ملامح التوتر على (كوكوف)، الذى تحركت أصابعه على زناد مسدسه، ولكن (زوكو) الذى بقى محتفظًا ببندقيته فوق كتفه، قال له بهدوء :

ـ لا داعى للتوتر .. إننى أفهم طبيعة هؤلاء القوم .. وأعرف كيف أتعامل معهم .. فلا تحاول إثارتهم .

وتقدم من أحد الأشخاص الذين أحاطوا بهم، وهو يرسم على وجهه ابتسامة عريضة .

ثم أخذ يضرب على فخذيه بكلتا يديه، ثم على كتفيه وكتف الرجل الواقف أمامهم، وهو يردّد بعض العبارات غير المفهومة .

وسأله (كوكوف) :

ـ ماذا تفعل ؟

(زوكو) :

ـ إنها وسيلة للتحية، وتعبير عن أننا قد أتينا إليهم كأصدقاء .

(كوكوف) :

ـ ولكن لا تبدو عليهم أية استجابة .

(زوكو) :

ـ إنهم ما زالوا مترددين .. فقد زرعت الحرب الأهلية الشك فى نفوس هؤلاء القوم تجاه أى غريب .

وما لبث أن سأله أحدهم عما يريد، بعد أن ردّ عليه التحية .

وقال له (زوكو) :

ـ إننا نريد مقابلة زعيم القبيلة .

وبعد أن أجابه الزنجى عن سؤاله، التفت (زوكو) إلى (كوكوف)، قائلًا :

ـ يقول إن الزعيم ذهب مع الأجنبيين إلـى جبل الشلالات، لمقابلة ساحر القبيلة .

(كوكوف) :

ـ وهل تعرف أين يوجد جبل الشلالات هذا ؟

(زوكو) :

ـ نعم .

(كوكوف) :

إذن هيًا بنا إلى هناك لنلحق بهم .. و .. وبالهدف .

* * *

وفى أثناء ذلك، كان (ممدوح) يواصل طريقه فى الأدغال فى صحبة مرشده الجديد (شاتو)، بحثًا عن الدكتور (صلاح).

وبينما كانا يجتازان إحدى المناطق التى تتكاثف فيها الأشجار الضخمة، إذا بهما يجدان نفسيهما فى مواجهة غوريلا ضخمة، كانت تختفى وراء الأشجار.

وجحظت عينا الرجل من شدّة الخوف، وهو يتطلع إلى ذلك الحيوان الضخم، وقد كشر عن أنيابه، فى حين احتفظ (ممدوح) بثبات أعصابه، وهو يراقب الغوريلا التى أخذت تحدق فيه بدورها .. ولكن بنظرات وحشية.

وهمس قائلًا :

- حاول أن تتماسك :

قال له الرجل وهو يرتعد وقد اصطكت أسنانه :

- الغوريلا ستقتلنا.

(ممدوح) :

- فقط لا تُبدِ حراكًا.

وبعد برهة من الوقت، مرت كأنها دهر .. قال له (ممدوح) :

- والآن تقهقر إلى الخلف بهدوء وبطء.

نفذ (شاتو) ما أمره به (ممدوح) .. ولكنه اصطدم فى أثناء تراجعه بأحد جذور الأشجار الممتدة على الأرض، فاختل توازنه، وهوى فوق العشب الأخضر.

وأثارت هذه الحركة الغوريلا .. فاندفعت نحو الرجل وهى تزمجر .. ولكن قبل أن تنقض عليه، كان (ممدوح) قد أطلق رصاصة من مسدسه أصابت كتف الغوريلا .. ولكنها لم تقض عليها فى الحال، فتحولت نحو (ممدوح)، وقد ازدادت وحشيتها.

وهمّ (ممدوح) بإطلاق رصاصة أخرى .. لكن الغوريلا لم تمنحه الفرصة لذلك، إذ انقضت عليه بمخالبها، ورفعته إلى أعلى .. وقد تعالت زمجرتها، وشعر (ممدوح) بأن جسده سينشطر إلى جزأين، تحت ضغط عضلات الغوريلا، قبل أن تطرحه أرضًا .. وأصبح بلا حول ولا قوة، بعد أن سقط منه مسدسه.

ولكن الإصابة التى لحقت بكتف الغوريلا، أحدثت مفعولها .. فتراخت يدها، وقد أخذت تترنح قليلًا .. ثم لم تعد اليد الممتدة من جهة الكتف المصابة قادرة على حمل (ممدوح).

فتركته يهوى برأسه على الأرض، وقد بقيت اليد الأخرى قابضة على ساقه.

وأخذت تحركه يمينًا وشمالًا على الأرض .. وقد ازدادت زمجرتها وحشية .

وبينما كان (ممدوح) يتأرجح فى يد الغوريلا كبندول الساعة .. وقد أدمت المخالب الحادة ساقه، وبدأ يشعر بالدوار .. إذا به يلمح المسدس الذى سقط منه فوق العشب الأخضر .

فامتدت يده سريعًا، لتلتقط المسدس من بين الحشائش .

واستطاع أن يفعل ذلك فى الوقت المناسب .. إذ فى اللحظة التالية، قامت الغوريلا برفع (ممدوح) إلى أعلى، فى مواجهة أنيابها الحادة، وقد همت بأن تغرزها فى عنقه .

لكنه بادر بوضع فوهة المسدس بين أنياب الغوريلا، مطلقًا رصاصة فى حلقها .

وأحس (ممدوح) بألم شديد، وقد ازداد ضغط مخالب الغوريلا على جانبيه فأسالت منهما الدماء، ثم احتضنته بقوة، برغم الرصاصة التى استقرت فى حلقها، حتى شعر بأن ضلوعه تكاد أن تتحطم تحت ضغط ذراعيها .

لكن ما لبث أن خف هذا الضغط قليلًا .. وقد أخذت الغوريلا تترنح، ثم تهاوت على الأرض، و (ممدوح) بين ذراعيها، لتخمد حركتها تمامًا .

وأبعد (ممدوح) ذراعى الغوريلا عن جسده، وهو لا يصدق أنه قد نجا، ثم تهاوى بجوارها ليلتقط أنفاسه اللاهثة .

وجلس (شاتو) بجواره، قائلًا :

ـ لقد كتب لك عمر جديد .. فقد ظننت أن هذا القرد الضخم سيمزقك إربًا .

قال له (ممدوح) لاهثًا :

ـ لقد كان فى طريقه لكى يفعل ذلك بالفعل .

ثم اعتدل فى جلسته وقد عادت له ابتسامته، ليضم ساقيه إلى صدره بكلتا ذراعيه، وهو ينظر إلى الغوريلا مستطردًا :

ـ ولكن يبدو أن العناية الإلهية ما زالت تناصرنى .

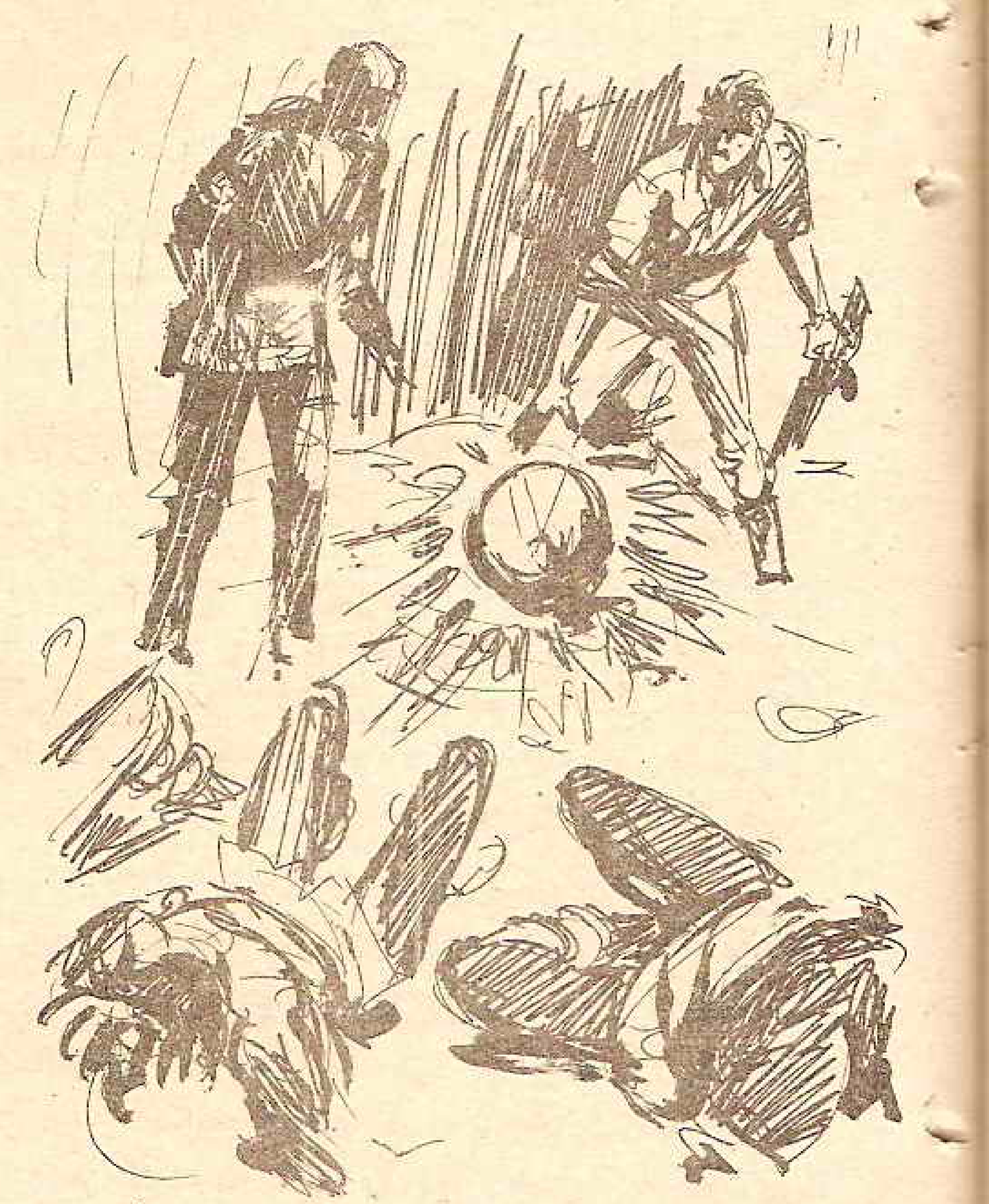
ثم هبَّ واقفًا، وهو يردف قائلًا :

ـ والآن .. هيَّا بنا .. لنواصل طريقنا إلى (الكوكون) .

وواصلا طريقهما ..

طريق الخطر .

★ ★ ★



ولكن (فرانك) لم يأبه لصراخه .. بل اندفع فى اتجاه الكرة التى سقطت من يد الساحر ..

١٣ - الكرة الملعونة ..

فى تلك اللحظة، كان الساحر يستخرج ماساته من الكرة السحرية، ليقدمها إلى (فرانك)، الذى أخذ يحدق فيها مبهورًا وهو يتراجع عدة خطوات إلى الوراء، متظاهرًا بفحصها .

وفجأة تناول سلاحه، وصوبه فى اتجاه الساحر وزعيم القبيلة واثنين من محاربى (الكوكون)، وأطلق وابلًا من الرصاص، فأرداهم صرعى جميعًا .

فصرخ الدكتور (صلاح) :

- ماذا فعلت ؟

ولكن (فرانك) لم يأبه لصراخه .. بل اندفع فى اتجاه الكرة التى سقطت من يد الساحر، وقد تلطخت بالدماء، ليلتقطها بين يديه .

وكان بعض رجال القبيلة الذين كانوا يقفون خارج الكهف قد اندفعوا إلى الداخل، على إثر سماعهم لصوت طلقات الرصاص، وقد حملوا رماحهم ليسدوا فتحة الكهف .

ولكن (فرانك) لم يعطهم الفرصة للتصدى له .. بل أطلق عليهم عددًا من طلقات مدفعه، صرعتهم جميعًا، ليشق لنفسه طريقًا إلى خارج الكهف، تاركًا الدكتور (صلاح) وسط هذه المذبحة الدامية، التى كاد أن يلقى حتفه فيها. وما إن اجتاز الشلال، حتى اندفع يركض فى اتجاه المستنقعات، فى حين تمكن أحد أفراد القبيلة، الذى نجا من هذه المذبحة، من تناول أحد الطبول من داخل الكهف .. وأخذ يدق عليها دقات معينة .. لينقل بوساطتها رسالة إلى القبيلة، يخبرهم فيها بما حدث.

وما إن تلقى أفراد القبيلة الرسالة المرسلة إليهم، بوساطة دقات الطبول، وفهموا منها ما حدث لساحرهم وزعيمهم وإخوانهم، حتى تملكتهم حالة جنونية واندفعوا يحملون أسلحتهم فى اتجاه المستنقعات بحثًا عن القاتل.

وما إن اقترب (فرانك) من المستنقعات، حتى فوجئ برمح ينغرس أمامه على بعد خطوة واحدة منه.

ثم ما لبث أن تعالت حوله الصرخات، ليفاجأ بأربعة من رجال القبيلة يحيطون به، وقد شهروا رماحهم وسهامهم.

وألقى أحدهم بسهم على يد (فرانك) التى تحمل المدفع .. فأسقطه منها، وقد أخذ يصرخ من شدة الألم .. ولكنه بقى محتفظًا بالكرة فى اليد الأخرى.

وهمّ الثلاثة الآخرون بغرس رماحهم فى جسده.

وفجأة دوى صوت طلقات الرصاص حوله، لتقضى على الزنوج الثلاثة.

ثم برز (كوكوف) و (زوكو) من وراء إحدى الأشجار، ودخان الطلقات ما زال ينبعث من سلاحيهما.

وهتف (كوكوف):

- هيًا يا صديقى .. لقد جئت فى الوقت المناسب .. دعنى أحمل عنك هذه الكرة .. ثم نبتعد عن هنا.

تظاهر (فرانك) بأن الألم قد تغلب عليه، من جراء الإصابة التى لحقت بيده، فجثا على ركبتيه .. فى حين امتدت يده سريعًا إلى مدفعه الآلى بعد أن ترك الكرة تسقط بين ركبتيه.

وأطلق عدة رصاصات سريعة وغادرة، فى اتجاه (كوكوف) وزميله باليد غير المصابة.

وتهاوى (كوكوف) بين الحشائش وقد لقى مصرعه فى الحال، فى حين ألقى (زوكو) بنفسه وسط الحشائش العالية راقدًا على بطنه ليختفى عن أنظار (فرانك).

فتناول (فرانك) الكرة بيده المصابة، فى حين بقى محتفظًا بسلاحه فى يده اليسرى، وهو يركض مواصلًا طريقه، دون أن يأبه لوجود (زوكو)، فقد كان كل ما يهمه فى هذه اللحظة أن يهرب بالكرة السحرية، بعيدًا عن هذا المكان.

ولكن سرعان ما برز (زوكو) من بين الحشائش العالية ليطلق عليه رصاصة من الخلف، أصابت ساقه .. وجعلته يهوى على الأرض، وإن بقى متشبثًا بالكرة وبسلاحه، وانتهز (زوكو) الفرصة، فنهض واقفًا .. ثم أخذ يتقدم فى اتجاه (فرانك) وهو يستعد للإجهاز عليه، برصاصة أخرى من الخلف فى رأسه، ليستولى بعدها على الكرة لنفسه .

ولكن ما إن أصبح على بعد ثلاث خطوات من الرجل الملقى أمامه حتى جحظت عيناه فجأة، وسقطت منه بندقيته على الأرض، وقد أطلق شهقة قوية، بعد أن استقر أحد رماح (الكوكون) فى ظهره لتنفذ من صدره .

ونظر (زوكو) إلى الرمح النافذ من صدره، وقد تلطخ بالدماء .. ثم تهاوى بدوره على الأرض فاقدًا الحياة .

كان رجال قبيلة (الكوكون) يتدفقون على المكان، وهم يسعون لمطاردة (فرانك)، وجميع الأجانب الذين أتوا إلى المنطقة، بعد أن تملكتهم حالة هستيريا نتيجة موت زعيمهم وساحرهم، والاستيلاء على كرة النار التى يقدسونها .

واندفع ثلاثة من رجال القبيلة فى اتجاه (فرانك) .. الذى انقلب على ظهره .. وأطلق عدة رصاصات أخرى من سلاحه، أجهزت عليهم، ثم تحامل على نفسه برغم الإصابات التى لحقت بيده وساقه، ليواصل طريقه نحو المستنقعات .

ولكن الدكتور (صلاح) اعترض طريقه قبل أن يخوض فى المستنقع، قائلًا :

- (فرانك) أعطنى هذه الكرة .. ودعنى أساعدك، وأعمل على تضميد جراحك .. إنهم لن يتركوك، طالما تحمل هذه الكرة التى لم تجلب سوى الموت والخراب .

ابتسم (فرانك) برغم آلامه فى شراسة، قائلًا :

- بل قل إنك تريد أن تستولى عليها مثل الآخرين .

الدكتور (صلاح) :

- إننى لا أعبأ بهذه الكرة .. ومن الأفضل أن تتركها هنا وتأتى معى إلى المستشفى .. فأنت تنزف بشدة .. ومن واجبى أن أعالجك كطبيب .

ولكن (فرانك) شهر سلاحه فى وجه الدكتور (صلاح) قائلًا :

- لقد انتهت مهمتك أيها الدكتور .. ولن أسمح لأحد بأن يعترض طريقى بعد الآن .

ولكن قبل أن يطلق رصاص مدفعه .. وجد شخصًا ينقض عليه من بين الأشجار المحيطة بالمستنقع .. ليدفع به إلى الأرض الموحلة .

وكان هذا الرجل هو (ممدوح عبد الوهاب) .

وما إن رآه الدكتور (صلاح) حتى هتف، وقد هزته المفاجأة قائلًا :

ـ (ممدوح) ؟

ولكن (ممدوح) كان فى شغل عنه فى الصراع مع (فرانك)، الذى اضطر للتخلى عن الكرة هذه المرة .. ليستخدم سلاحه فى الدفاع عن نفسه ضد (ممدوح)، الذى لم يمكنه من إطلاق الرصاص .. فاضطر لضربه بمؤخرة المدفع المعدنية فى وجهه ليدفعه بعيدًا عنه .

ولكن (ممدوح) تحامل على نفسه، برغم قوة الضربة، وسدّد إليه لكمة قوية، وهمّ بتسديد أخرى، ولكن (فرانك) تدحرج على الأرض الطينية، وانتهز اندفاع (ممدوح) إلى الأمام ليسدّد إليه ضربة أخرى من مؤخرة سلاحه، أصابت رأسه من الخلف .. فدفعت بوجهه إلى الأرض .

وامتدت يد (فرانك) لتناول الكرة مرة أخرى .. لكنه سرعان ما أرجعها سريعًا إلى الخلف، وهو يرتعد .

إذ برز من بين الوحل فكان كبيران، لتمساح ضخم، وقد أطبقا على الكرة السحرية .

وهتف (فرانك) فى هستيريا :

ـ أيها الحيوان القذر، أبعد أسنانك عن كرتى .

ثم صوب إليه فوهة مدفعه، وضغط على الزناد .. لكن الطلقات كانت قد فرغت منه، مما جعله يهتف مرة أخرى قائلًا :

ـ اللعنة .

وسرعان ما أطبقت الأسنان الحادة على الكرة فهشمتها تمامًا ليبتلع التمساح شظاياها، ثم أخذ يتلوى وهو يقفز فوق الأرض الطينية، كما لو كان به مسّ شيطانىّ، حتى خمدت حركته تمامًا .

وصرخ الدكتور (صلاح) :

ـ (ممدوح) .. احترس .

انتبه (ممدوح)، ليجد أن الأرض الطينية المحيطة بالمستنقع تمتلئ بعشرات من التماسيح، التى بدأت فى التحرك على الأثر .. وقد أخرجها من سباتها صراع (ممدوح) مع (فرانك)، والحركة الصاخبة التى أثارها زميلهم .

وتناول (ممدوح) خنجره، ليلقى به فى رأس أحد التماسيح، التى حاولت مهاجمة الدكتور (صلاح) .

ثم اندفع نحوه ليجذبه من ذراعه، ويبعده عن المكان، فى حين حاول (فرانك) الهرب، وقد بقى عدة لحظات ساكنًا فى مكانه، وهو لا يصدق أن كرة النار، التى كان يبنى عليها آماله، قد ضاعت منه .. فأصابه ذلك بالوجوم لعدة لحظات .

وحينما أراد أن يتحرك .. عجزت ساقه عن أن تحمله من شدة الألم، بعد الإصابة التى لحقت به .. فأخذ يحجل على القدم الأخرى محاولا الابتعاد عن هذه الأرض الموحلة .

ولكن الأسنان الحادة لم تمهله ..

لقد أطبق فكا أحد التماسيح على الساق السليمة، ليطرحه أرضا .. ثم جذبه معه إلى ماء المستنقع، وهو يطلق صرخة مدوية .

ولم يعد باستطاعة أحد أن يمنع عنه هذه النهاية البشعة، التى جاءت وكأنها عقاب إلهى، لكل ما ارتكبه هذا الرجل من آثام .

وساعدهما (شاتو) على اجتياز طريق مختصر إلى المستشفى حيث كان (جعفر) وبقية المرضى فى انتظارهم .

وقبل أن يتأهب الجميع لمغادرة المستشفى .. كانت جحافل قوات الكولونيل (شومبا) .. تتقدم فى اتجاههم .

وقال لهم الدكتور (صلاح) :

ـ هناك ممر أرضى تحت المستشفى، يمكننا استخدامه فى الهرب والوصول إلى الجهة الأخرى .

قال له (ممدوح) :

ـ وفيم الانتظار إذن .. هيا اسبقونى إلى هناك .

سأله الدكتور (صلاح) :

ـ وماذا عنك ؟

(ممدوح) :

ـ سألحق بكم .. أعتقد أننا سنكون فى حاجة إلى وسيلة سريعة للابتعاد عن هذا المكان، بأسرع ما يمكننا .. ولن يكفينا السير على الأقدام .

الدكتور (صلاح) :

ـ ولكننا لن نستطيع استخدام سيارة المستشفى فهى معطلة .

ابتسم (ممدوح)، قائلا :

ـ وهل هناك ما هو أفضل من إحدى تلك السيارات المصفحة ؟

صاح الدكتور (صلاح) :

ـ (ممدوح) .. هل أنت مجنون ؟.. تريد الاستيلاء على إحدى سيارات الجنود ؟!

(ممدوح) :

ـ لنقطع بها منتصف الطريق فقط ..أما أكثر من ذلك .. فسيرسل (شومبا) طائرة عمودية للبحث عنا، وإطلاق الرصاص علينا من السماء .

وحـاول الدكتـور (صلاح) أن يمنـع (ممـدوح) عن الاستمرار فى تنفيذ ذلك .. لكنه طلب منه ألا يضيع الوقت، وأن يسارع بالذهاب مع (جعفر) والآخرين عبر الممر قائلًا :

ـ هيًا يا دكتور، لا وقت أمامنا .. سألحق بكم .. فمعى الخريطة .

وانتظر (ممدوح) بين الأشجار المحيطة بالمستشفى، حتى قامت طلائع القـوات الأولـى بالتمركـز داخل المستشفى .

ثم انقض على أحد الجنود الواقفين بجوار إحدى السيارات، فطرحه أرضًا، وسدَد إليه عدة لكمات سريعة، جعلته يغيب عن الرشد، وتسلل إلى السيارة فى هدوء وهو يراقب الآخرين .

وانتهز فرصة هدير صوت إحدى الدبابات التى كانت تتحرك لاتخاذ موقعها بجوار جدار المستشفى، فأدار محرك السيارة بدوره .. ثم انطلق بها .

وقبل أن يتنبه الجنود، ويبدءون فى إطلاق رصاص أسلحتهم، كان (ممدوح) قد نجح فى الفرار بالسيارة .

وتمكن من اللحاق بالآخرين فى الوقت المناسب .. حيث اختصرت السيارة المسافة بالنسبة لهم .. وأسهم (جعفر) فى مساعدتهم على تكملة الطريق سيرًا على الأقدام، حتى تمكنوا من اجتياز الحدود .

وما إن أصبح (ممدوح) داخل حدود الدولة المجاورة، حتى حاول أن يستحث الدكتور (صلاح) للعودة معه إلى (القاهرة)، ولكن الدكتور (صلاح) أبى ذلك قائلًا :

ـ هناك آلاف من اللاجئين، سيتدفقون إلى هنا عبر الحدود، وسنجد من بينهم مئات من الجرحى والمرضى .. وكلها حالات إنسانية مؤلمة .. وسوف يكونون بحاجة إلى شخص مثلى لمساعدتهم .. سأبقى هنا للعمل ضمن البعثة الطبية الدولية، التى أرسلتها الأمم المتحدة لمساعدة هؤلاء، فهذا واجبى الإنسانى الذى لن أتخلى عنه .. وبعدها سأعود إلى (القاهرة) .

ربَت (ممدوح) على كتفيه، وهو ينظر إليـه نظرة تقدير، قائلًا :

ـ لقد عرفتك دائمًا .. إنسانًا عظيمًا يا دكتـور (صلاح) .

صافحه الدكتور (صلاح)، قائلا :

ـ أشكرك على الجهد الكبير الذى بذلته من أجلى .. وافترقا ..

★ ★ ★

فى (القاهرة) جلس (ممدوح) فى مكانه المعتاد، على المقعد المواجه لمكتب اللواء (مراد) .. والذى بدت عليه الحيرة على وجهه وهو يسأله قائلًا :

ـ ولكن ألا ترى معى أن أمر هذه الكرة، التى يتحول فيها الفحم إلى ماس يعد غريبًا .. ويكاد لا يصدق ؟

(ممدوح) :

ـ لقد سمعت البعض يقول إن هذه الكرة قد سقطت من السماء، وإنها ربما تكون قد أتت من كوكب آخر، أو ربما كانت جزءًا من نيزك مجهول .. الأساطير كثيــرة، والروايات مختلفة، حول هذه الكرة التى سقطت فى أرض قريبة من أرض قبيلة (الكوكون)، والتى يسمونها كرة النار .

اللواء (مراد) :

ـ لو لم تَفْنَ هذه الكرة بين فكى التمساح، وانتشر أمرها بين الفصائل المتحاربة، فربما كانت قد أصبحت سببًا فى اتساع نطاق الحرب الأهلية فى (جومايا) .

ابتسم (ممدوح)، قائلًا :

ـ أعتقد أن التمساح قد تكفل بالتخفيف من حدة هذا الصراع .

اللواء (مراد) :

ـ نعم .. فقد عقدت هدنة مؤقتة بين الفريقين المتصارعين، والأمل معقود على إنهاء الحرب بينهما، ووقف هذه الحرب الأهلية .

(ممدوح) :

ـ هذا يعنى أننا سنجد الدكتور (صلاح) هنا فى (القاهرة) قريبًا .

اللواء (مراد) :

ـ والآن، هل أنت مستعد لسماع تفاصيل المهمة القادمة ؟

(ممدوح) :

ـ مستعد تمامًا يا فندم .

وبدأت مهمة جديدة .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

كرة النار

كانت طلقة واحدة كافية لإفساد خطة (ممدوح) وجذب الانتباه إليه هو ومن معه.. لذا قرر التدخل سريعًا.. فوثب نحو الجندى قبل أن يطلق رصاص بندقيته ليسقطه أرضًا.

٦٣

المؤلف



ا. شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

العدد القادم
سر أبى الهول

الثمن فى مصر ١٠٠ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم